روايات عالمية للجيب 71

الرجل الذى يجمع كتب (بو)



تأليـــــف : روبـرت بلـوخ
ترجمة وإعداد : د . أحمد خالد توفيق

المـؤلـف



قـد لا تعـرف الاسم ، لكنى سأذكر لك كلمة واحدة تنهى كل شىء : (سـايكو) .. (نفـوس معقدة) .. فيلم هتشكوك الشهير الذى تموت بطلته فى ربعه الأول . أما وقد عرفت الفيلم فأنت تعرف الآن مؤلفه .

(روبرت بلوخ Bloch) من أهم كتاب الرعب المعاصرين ، وله إسهامات لا حصر لها ، لكن يظل أهم عمل له هو القصة المذكورة .

ولد (بلوخ) عام 1917 فى شيكاغو بأمريكا . نعرف أنه كان مولعًا بشدة بأفلام الرعب فى طفولته ، ثم ككتاب أمريكيين كثيرين تأثر بمجلة (حكايات غريبة Weird tales) التى كان يكتب فيها أدباء فائقو الموهبة مثل (لافكرافت) . وقد تبادل المراسلات مع الرجل الأسطورة ، وهو الذى نصحه بأن يجرب كتابة القصة القصيرة . إنه ميراث الموهبة الذى لا ينتهى وينتقل

من جيــل لجيل . والواقع أن صداقة جميــلة جمعــت الأستاذ والتلميذ ، وكتب كل منهما قصصًا استخدم فيها اسم الآخر ، حتى أن لافكرافت كتب له تفويضًا يسمح له بأن يقتله فى أية قصة يشاء !

فى سن السابعة عشر باع (بلوخ) أولى قصصه (السر فى المقبرة) لذات المجلة .

بدأ الفتى يكسب عيشه عن طريق الكتابة وتزوج . وفى العام 1947 صدرت روايته الأولى (الوشاح) ، وهى دراسة لعقل سفاح يهوى قتل النساء . ويقال إن السفاح الوحيد والمريض نفسيًّا سوف يصيران علامتين مميزتين على أدب بلوخ .

كان نجاحه محدودًا وقلقه على المستقبل عظيمًا ، لكن العام 1959 شهد مولد روايته التى ارتبطت باسمه للأبد (سايكو) . وقد استلهم القصة من حكاية سفاح حقيقى شهير جدًّا ارتبط بوالدته بشكل مرضى لدرجة تحنيطها بعد موتها ، وهو السفاح (إد جين) . الواقع أن (إد جين) جلب الكثير من الخير لكتاب الرعب فى كل مكان ، وقد استلهم كثيرون قصته لعل آخرهم (توماس هاريس) فى شخصية (هانيبــال لكتــر) الشهيرة .

وعندما باع بلوخ القصة لشركة هوليوودية ، لم يكن يعرف أن المشترى هو هتشكوك . ومن الغريب أن الشركة لم تحاول الاتصال به أو عرض كتابة السيناريو عليه .

عام 1959 نال جائزة محترمة جدًّا هى جائزة (هوجو) عن قصته القصيرة (ذلك القطار الجحيمى) . وتلقى دعوة لهوليوود ليكتب سيناريو حلقات بوليسية تلفزيونية ، ثم حلقات مسلسل الرعب الشهير (ألفريد هتشكوك يقدم) . وقد قدم عدة مجموعات قصصية لم يخل غلاف واحدة منها من عبارة (مؤلف نفوس معقدة) .

من ضمن روايات بلوخ الشهيرة :

- الخاطف 1954
- تلك الأرض المزدحمة 1958
- الأريكة 1962
- الهلع 1962
- كله فى عقلك 1971



ـ هناك أفعوان فى عدن 1979

ـ ليلة السفاح 1984

ـ تركة جيكل 1991

أما عن مجموعات القصص القصيرة فمنها :

ـ الرعب فى الليل 1958

ـ الدم يجرى باردًا 1961

ـ كوابيس أكثر 1961

ـ جمجمة الماركيز دى ساد .

ـ أفضل ما كتب بلوخ 1977

مات بلوخ عام 1994 فى لوس أنجيليس . وقد أحرق ودفن رماده هناك . فى هذا الكتيب والكتيب التالى له ، نقابل بعضًا من قصصه القصيرة ، وهى مختارة بشكل عشوائى ، أى أنها لا تمثل مجموعة قصصية معينة له ، لكنها جميعًا ممتعة ، وقد رأيت بعضها فى فيلم الرعب (حديقة التعذيب) الذى كتب له بلوخ السيناريو وأنتجته شركة أميكوس البريطانية ، ومن الممتع

أن ترى التشابه القوى بين قصة (البيت الجائع) وفيلم (نشاط خارق للطبيعة) الذى عرض هذا العام ، برغم أن أكثر من أربعين عامًا تفصل القصة عن الفيلم .

د . أحمد خالد



الرجل الذى يجمع كتب (بو)[*]

(*) الدقة تقتضى أن يكون العنوان هو (الرجل الذى يجمع بو) ، وهو أدل على محتوى القصة ، ولكن مذاقه غريب فى اللغة العربية لذا قمت بتغييره .

ذات يوم خريفى كئيب مكفهر السماء وصموت ، والسحب معلقة فى السماء ، كنت أمر بسيارتى عبر طريق ريفية كئيبة فرأيت عن بعد ظلال الليل الدانى . نظرت أمامى إلى البيت والمناظر الطبيعية البسيطة المحيطة به ، والنوافذ الشبيهة بالأعين والجدران الكئيبة ، وبعض جذوع الأشجار المتحللة . شعرت بحيرة مختلطة بخيبة الأمل .

لقد بدا لى كأننى زرت هذا المكان من قبل أو قرأت عنه ، لكننى متأكد من أن هذا مستحيل لأننى لم أعرف لانسلوت كاننج إلا من ثلاثة أيام ودعانى لبيته فى ماريلاند .

كانت الظروف التى قابلت فيها كاننج بسيطة .. كنت أحضر لقاء لعشاق الكتب فى واشنطن ، وقد قدمنى له صديق مشترك . جرت محادثة عابرة تحولت لمناقشة ساخنة عندما أدرك ولعى بالكتب الخيالية . عرف أننى فى إجازة وليست لدى خطط مسبقة ، فألح على أن أكون ضيفه ليوم وأن افحص براحتى مجموعته الفريدة من التذكارات .

قال لى :

– « أشعر من محادثتنا أن بيننا الكثير مما هو مشترك .. إن ولعى بالأدب الخيالى شىء ورثته غالبًا عن أبى وأبيه من قبله .

أنا أعرف يقينًا أنك ستنبهر بما سأريه لك . أنا متواضع فعلاً لكنى أعتبر نفسى أهم جامع لأعمال إدجار آلان بو على مستوى العالم .. »

أعترف بأن هذه الدعوة لم تؤثر فى لأننى لا أميل لعبادة المشاهير ، فأنا أهوى قصص بو لكن هذا الميل لا يصل لدرجة أن أهتم بالتاريخ الذى قرر فيه مستر بو أن يطيل شاربه ، ولا أهتم بفحص شعرات باقية من هذا الشارب .

كان سبب قبولى لهذا العرض هو شخصية وشخص لانسلوت كاننج نفسه ، فقد بدا لى كأن الرجل نفسه خارج من قصص إدجار آلان بو ، وكانت طريقته فى الكلام تحمل نوعًا من التلطف الزائف الذى يميز أبطال بو ، وبشكل ما كان منظره يشبههم .

كانت له سحنة جيفية شاحبة وعينان مبتلتان مشعتان ، وله شفتان مقوستان وأنف أنيق وذقن حسنة التكوين ، وشعر يشبه نسيج العنكبوت . باختصار كان بطلاً ممتازًا من أبطال بو .

هذا هو ما حركنى لأقبل ودفعنى لزيارة الرجل فى ماريلاند ، التى كما تبين لى تمثل فى ذاتها طراز بو بشدة . لم ينقص المنظر سوى بحيرة صغيرة وخندق مائى .. وإذ دخلت مسكنه توقعت أن أرى السقف المنحوت والنسيج الكئيب والأرضية

المصنوعة من الأبنوس والذكريات التى تحمل طابع النبل ، التى وصفها كاتب (قصص عن الخيال والأرابسك) .

لم يخب أملى لدى دخول البيت . كان المشهد يناسب البيت ويناسب خيالاتى ، فقــد انفتح البـــاب إذ دققته ، وظهر خادم اقتادنى فى صمت عبر الممرات المظلمة إلى مكتب سيده .

وجدت نفسى فى غرفة كبيرة جدًا وسامقة . النوافذ كانت طويلة وضيقة ومدببة وعالية جدًا عن الأرض بحيث لا يمكن رؤيتها . كانت العين تجاهد لبلوغ أطراف الغرفة أو السقف العالى . كانت هناك ستار سوداء على الجدران ، وكان الأثاث كثيرًا لا يوحى بالراحة .. عتيقًا رثًا . وكانت هناك كتب كثيرة وأدوات موسيقية مبعثرة لكنها لا تضيف أية حيوية للمشهد .

بالعكس أعطتنى أكثر ذلك الانطباع بمن يجمع كل شىء وأى شىء . هنا شعرت من جديد بذلك الشعور المألوف .. لقد قرأت .. لقد تخيلت .. لقد حلمت أو رأيت بالفعل هذا الموقف من قبل .

نهض لانسلوت كاننج مـــن على الأريكـــة التى يرقد عليها ممـــددًا ، وحيَّانى بدفـــء شديد أشعرنى بحـــرارة مبالغ فيها كما بدا لى .

لكن صوته إذ تكلم عن هدف زيارتى ، وعن رغبته فى أن يرانى ، والسلوان الذى توقع أن أقدمه له من خلال اهتمامنا المشترك ، خفف على الفور من توجسى الأول .

رحب بى لانسلوت كاننج بحماس من ولدوا ليملكوا مجموعات ، وقد بدأت أدرك أنه بالفعل كذلك . لقد ورث الكثير من هذه المجموعات .

فى البداية شرح لى أن نـــواة المجموعـــة بدأت مع جده (كرستوفر كاننج) التاجر المحترم من بالتيمور . منذ 80 عامًا كان من أهم رعاة الفنون فى المجتمع وقد سعى لنقل رفات بو إلى المقبرة المعمدانية فى شارع (فاييت) و(جرين) ، حيث يمكن عمل نصب مناسب لها .

حدث هذا فى العام 1875 وقبل هذا بأعوام كان الرجل قد وضع اللبنة الأولى فى مجموعة بو .

قال حفيده لى :

ـ « بفضل هذه الحماسة صارت لدى نسخة من كل عمل خطه بو . لو أنك جئت هنا .. »

واقتادنى إلى ركن المكتب حيث رف كتب يرتفع للسقف ، وقال :

ـ « سوف يسرنى أن أثبت لك هذا الزعم .. هذه نسخة من (تيمورلنك وقصائد قصيرة) فى الطبعة رقم 29 . وهنا نفس الكتاب فى الطبعة رقم 27 . طبعة بوسطن التى يبلغ ثمنها اليوم 15 ألفًا ، وأنا أؤكد لك أن جدى لم يدفع هذا الثمن الباهظ .. »

وعرض على النسخ بمزيج من الفخر والجشع وهما السمتان اللتان تميزان الجامعين ، ولا يجب خلطهما مع الجشع العادى أو الإدعاء . ظللت صامتًا وهو يرينى المزيد من الكنوز ، مثل (فيلادلفيا ساترداى كورير) و(نيويورك صان) و(نيويورك ميرور) منذ كان بو يكتب فيها .

صعد فى سلم خشبى صغير وناولنى نسخة من (قصص عن الخيال والأرابسك) طبعة ليا وبلانشارد ، و(إيوريكا) من إصدار بوتنام . بعض هذه الكتب بيع وقتها بـــ 12 بنسًا لكن ثمنه اليوم لن يقل عن خمسين ألفًا من الدولارات .

كان كاننج يعلق بلا توقف ، حتى فهمت أنه دارس لبو وليس جامعًا لكتبه فقط .

قال لى وهو يهبط فى السلم ويقف أمام أرفف الكتب :

ـ « أنا مدين كثيرًا لهذا الوسواس لدى جدى .. ليس سرًا أن ولعه ببو بلغ درجة الوسواس . ربما الجنون كذلك .. لكن الكل يعرف هذا للأسف .

« فى أوائل السبعينيات بنى هذا البيت ولا شك عندى فى أنك لاحظت أنه استنساخ لبيوت قصص بو . هذا كان مكتبه وها هنا غرق فى خطابات وكتب وآثار حياة بو . حقًا لا أعرف السبب الذى يدفع تاجرًا كى يكرس نفسه بجنون لهذه الهواية ؟.. لا أعرف ... يكفى أن أقول إنه انسحب عن العالم تمامًا وراح يجرى مراسلات مطولة مع قوم مسنين عرفوا بو حيًا ، وحجَ إلى فوردهام وكل بقعة لمستها قدم بو فى حياته . ابتاع كتبًا وخطابات وسرق البعض ـ أكره قول ذلك ـ لو كان الشراء مستحيلاً .

« هل يبدو لك هذا غريبًا لك ؟... أنا كذلك كنت مثلك ، ووجدت الأمر لا يصدق .. لكن بعد سنوات هنا فقدت موضوعيتى .. »

أجبته :

ـ « نعم هو غريب .. لكن هل أنت متأكد من عدم وجود سبب شخصى غريب لاهتمام جدك ؟.. لربما قابل بو وهو صبى ؟.. لربما هناك قرابة خفية ؟.. »

عند السؤال الأخير انتفض كاننج وظهر التوتر على سحنته :

ـ « آه .. هأنتذا تردد قناعتى الخاصة . علاقة .. لابد من وجود واحدة .. أنا مؤمن أن جدى شعر بقرابته لبو برابطة دم . لا شىء غير هذا يفسر اهتمامه القوى ودفاعه عن بو فى كل جدل أدبى دار وقتها . وفى النهاية غاص فى عالم من الهلاوس والضلالات ..

« لكن برغم هذا لم أر أية وصية على الورق وقد بحثت وسط الخطابات عن دليل بلا جدوى . من الغريب أن هذا الشك تبناه أبى كذلك . كان طفلاً عندما مات جدى وقد ترك هذا أثرًا عميقًا على طبيعته الحساسة . تربى فى بيت أقارب أمه فى بالتيمور لكنه عاد لهذا البيت سريعًا بمجرد أن بلغ السن التى تسمح له بالميراث . كان ثريًا لذا كرس حياته لمزيد من البحث . وقد راح يبحث عن بو سرًا لسبب ما . غالبًا كان يفتش عن برهان يثبت قرابة أبيه لبو .. »

قلت هنا :

ـ « هل تقول إن أباك كان جامعًا ؟.. »

أجاب مضيفى وهو يقودنى لركن آخر من المكتب الذى يغمره الظل :

ـ « هذه مقولة أنا متأهب لأثبتها .. لكن هل لك أولاً فى كأس من النبيذ ؟.. »

ولم يملأ كأسًا وإنما دورقًا زجاجيًا كبيرًا ، وقرعنا الدورقين فى تقدير صامت . ليس من الضرورى أن أذكر أن النبيذ كان من نوع (أمونتيلادو) معتق ممتاز .

قال لانسلوت كاننج :

ـ « كان مجال تخصص أبى فى البحث عن بو هو الخطابات .. »

وفتح مجموعة من الأدراج تحت الأرفف ، وأخرج ملفًا بعد ملف من المشمع المغلف ولمدة نصف ساعة رحت أتفحص مراسلات بو . كمية هائلة منها .

أثناء بحثى قام مضيفى بإعادة ملء الدورقين ، وبدأت دوامة تظهر أمام عينى لأننا لم نكن قد أكلنا .. ولم أكن قد فكرت فى الأكل لأننى كنت غارقًا فى هذه الصفحات الصفراء .

كانت الخطابات مليئة بالذكاء والمعرفة الشاملة والنقد الأدبى .. هنا أفكار عقل فتك به الشراب واليأس . بقايا قصيدة .. بدايات قصة .. هنا كان الحب والكره والغرور والغضب والندم المجرد والسلطة والتردد والفرح وميلانخوليا مسقمة للروح .

هنا كان الزوج العاشق والسكير المتأرجح ، والعاشق المجنون والناشر الفخور ، والصعلوك الفقير ، والحالم المريض بأوهام العظمة .. الشاعر .. الذى كانه إدجار آلان بو .

من جديد امتلأ الدورقان وفرغا .

شربت وعيناى لا تتحركان ..

للمرة الأولى تسرب حماس لانسلوت كاننج إلى روحى .. غرقت فى عالم بو الرجل والشاعر .. الذى كتب المأساة وعاش مأساة . الذى كتب الأسرار ومات ميتة سرية ..

لقد ظل لغز بو قائمًا برغم دراسة كاننج المدققة للأوراق . وقد اعترف لى :

ـ « لم يتعلم أبى شيئًا .. برغم كل ما جمعه هنا .. لذا تقدم بحثه أكثر . كنت فى ذلك الوقت فى سن تسمح لى بمشاركته أبحاثه ، فاقتادنى إلى صندوق مزخرف تحت النافذة التى تقع عند الجدار الغربى للمكتب . ركع وأخرج عدة أشياء يرتبط كل منها بجانب من جوانب بو .

« كانت هناك تذكارات من شبابه ومن دراسته بالخارج ، وكتاب امتلكه أثناء إقامته المؤقتة فى وست بوينت .. قلم

استعمله عندما عمل ناشرًا .. مروحة كانت زوجته تملكها . وكذلك الناى الخاص به .. »

واصلنا الشرب .. وأعترف أن النبيذ كان قويًا . إلا أن وجه كانتج ظل شاحبًا كالموتى لكن كانت هناك لمسة جنون فى عينيه . من الواضح أنه يملك قدرًا من الهستيريا يكبحها .

من بين الأشياء المتناثرة وجدت صندوقًا لا توجد علامة تميزه .. فأردت أن أسأل عن تاريخه والدور الذى لعبه فى حياة بو .

تقلص وجه مضيفى وارتجف . وقال :

ــ « هذا الصندوق يحمل شبهًا قويًا بالصندوق الذى وصفه بو فى قصته (برنيس) .. هذا الصندوق له علاقة بموته أكثر من حياته . بل هو نفس الصندوق الذى وجدوا جدى يحتضنه إلى صدره عندما كان ميتًا هناك . أنت صبرت معى كثيرًا وأنا أقدر هذا ، لذا سوف أكافئك على صبرك .. فأنا أعرف متى أمنح ثقتى لمن يستحق .. »

لا أعرف ما كان يزمع أن يريه لى لكننى شعرت من طريقته بنوع من القلق وعدم الراحة .

وضع يده على كتفى وضحك وقال :

ــ « هلم .. هذا يجب أن يثير اهتمامك بصفتك مولعًا بالخيال .. لكن خذ كأسًا أخرى ليسرع رحلتك !.. »

صب لى فشربنا ثم اقتادنى للغرفة ذات السراديب إلى الدرج ، وهبطنا حتى بلغنا بابًا من الصلب الثقيل . من جديد شعرت بنوع من الألفة كأننى أتذكر شيئًا .

قال لى :

ــ « لا يجب أن تخاف .. لم يقع شىء هنا منذ ذلك اليوم منذ 70 عامًا ، عندما وجد الخدم جثته أمام هذا الباب والصندوق على صدره . وكان مرهقًا وفى حالة من الهلوسة لم يفق منها قط . لمدة ستة أشهر ظل مجنونًا إلى أن مات . راح يحلم بحصان عملاق وبيت ينهار فى البحيرة الجبلية . القطة السوداء والفجوة والبندول .. القلب النابض وكتلة العفن شبه السائلة التى ينبعث منها صوت يتكلم .

ثم صار صوته همسًا يتردد عبر الباب الحديدى والقاعة المبطنة بالنحاس ، وهو يقول :

ــ « لم يكن هذا كل ما رآه .. تحدث عن كائن مخيف يفوق كل أشباح قصص بو . هنا فهم الخدم وأبى سر الغرفة التى بناها خلف هذا الباب الحديدى .. وعرفوا أن كرستوفر كانتج قد

استحق اسمه كأهم جامعى أعمال بو فى العالم . لقد هلوس جدى عن وفاة بو منذ ثلاثين عامًا (أى عام 1849) وعن دفنه فى الكنيسة المعمدانية ، وعن تحريك التابوت إلى الركن عام 1874 ليقام نصب تذكارى ، وكما تعرف شارك جدى فى هذه العملية . الآن عرفنا الجزء المختفى من القصة .. . كانت هناك مقبرة لكن لم يكن هناك تابوت فى المكان الذى زعموا أن بو مدفون فيه . التابوت موجود الآن فى الغرفة السرية الموجودة فى نهاية هذا الممر . لهذا تم بناء هذه الغرفة .. بل لهذا تم بناء البيت كله .

« لقد سرق جدى جثة إدجار آلان بو .. ألا يكفى هذا لجعله أعظم جامع لأعمال بو فى التاريخ ؟.. »

« وجد أبى شيئًا آخر .. الصندوق الذى يضمه كرستوفر كاننج لصدره يحوى بعض العظام المهشمة .. التراب المتبقى من جثة بو .. »

واستدار مضيفى وقادنى عبر ممر الرعب هذا ، لنصعد فى الدرج ثم المكتب . أعاد ملء الوعائين فشربت بسرعة .

ـ « ماذا كان بوسع أبى أن يفعل ؟.. إعلان الحقيقة معناه فضيحة عامة .. لكن الصدمة أثرت فيه بشدة ، وعلى قدر علمى لم يدخل قط وراء هذا الباب الحديدى . لم أعرف شيئًا عن

الغرفة حتى ساعة وفاته بدوره ، وبعد أعوام وجدت المفتاح ضمن حاجياته .

« لكن وقد وجدت المفتاح صارت القصة مكتملة ، وعرفت أننى أعظم من جمع مقتنيات بو على وجه الأرض .. »

صببت لنفسى المزيد من النبيذ ، وإذ فعلت هذا شعرت للمرة الأولى بنذر عاصفة تقترب .. لقد راحت النوافذ ترتج ودوى صوت الرعد من بعيد ..

أصغى مضيفى لهذه الأصوات ، لكنى كنت غير مطمئن له .. هذا الكلام الذى قاله جعلنى أتشكك كثيرًا فى عقله .

كل ما قاله عن هذا الضريح وعن سرقة جثة بو وعن البيت الذى بنى كله لغرض واحد .. كل هذا كان يتجاوز التصديق العقلانى . لكنى الآن وسط الليل والعاصفة كأنه مشهد من قصة خيالية من قصص بو الجنونية ، لم أعد واثقا من نفسى . إن روح بو تتنفس فى هذا المكان .

انحنى لا نسلوت والرعد يدوى والتقط ناى بو وبدأ يعزف كأنه يتحدى العاصفة . بصوت عال رفيع يمزق الأعصاب . واضاف الرعد لهذا الصراخ الجحيمى صوتًا منكرًا .

تراجعت متوتر الأعصاب غير شاعر بالراحة نحو ركن المكان قرب أرفف الكتب ، وتفحصت العناوين . هناك كتاب (كايرومانسى) لروبرت فوند وكتاب (ديركتوريم انكويزوتورم) وهو كتاب تعليمات كنيسة منسية ، كما كانت هناك كتب كثيرة من العلم الزائف مثل (فيرميس مستريس) و(ليبر إيبن) عن الشياطين والسحر . الكتب كانت قديمة لكنها غير مغبرة .. كانت تُقرأ ..

كأنما خمن ما أفكر فيه مشى نحوى مترنحًا وقال :

ـ « أقرؤها .. نعم .. لقد تجاوزت ما وصل له جدى وأبى . أنا الذى وجد المفتاح .. مفتاحًا أصعب فى اكتشافه وأهم من مفاتيح القبو . أتساءل إن كان بو نفسه قد عرف هذه الأسرار .. سر المقبرة وما يمكن الحصول عليه لو امتلكت المفتاح .. »

وعاد بالمزيد من النبيذ وقال :

ـ « اشرب .. اشرب نخب الليل والعاصفة .. »

أزحت الإناء جانبًا وقلت :

ـ « هذا كاف .. يجب أن أرحل الآن .. »

هل تخيلت أم إننى رأيت الخوف على وجهه ؟.. أمسك بذراعى وصاح :

ـ « لا .. ابق معى !.. هذه ليلة لا يجوز أن يكون المرء فيها وحيدًا .. أقسم أننى لا أتحمل فكرة أن أكون وحيدًا .. »

دوى الرعد والأصداء فاستدرت لأواجهه ، وقلت :

ـ « كفاك هذا !.. اعترف بأن هذه خدعة .. دجل متعمد لإرضاء خيالاتك .. »

ـ « خدعة ؟.. دجل ؟.. ابق هنا وسوف أثبت لك بما لا يسمح بأى شك .. .. »

وفتح درجًا جوار الجدار وقال :

ـ « هذه مكافأتك على اهتمامك بقصتى وببو .. أنت أول شخص بعدى يرى هذه الكنوز .. »

وناولنى مجموعة من الأوراق .. نفس نوع الحبر الذى رأيته وأنا أرى خطابات بو . تفقدت العناوين فوجدتها تقول :

ـ « دودة منتصف الليل .. بقلم إدجار آلان بو .. السرداب . المزيد من مغامرات جوردون بايم .. »

كدت أوقع الأوراق على الأرض من الانفعال .

ـ « هل هذه ما تبدو عليه ؟.. الأعمال التى لم تنشر لبو ؟.. »

انحنى مضيفى موافقًا .. وقال :

ـ « لم تنشر ؟ لم تكتشف .. لم تعرف .. باستثنائى أنا وأنت .. »

ـ « لكن هذا مستحيل .. بالتأكيد هناك ذكر لها فى مكان ما .. فى خطابات بو أو معاصريه .. لابد من دليل فى مكان ما .. »

دوى الرعد فأخفى كلماتى الأخيرة .. قال مضيفى :

ـ « هل تتخيل أننى نصاب ؟.. إذن قارن .. !.. »

وأحضر مجموعة من الخطابات وقال :

ـ « أليست هذه طريقته فى الكتابة ؟.. الخط .. هل يمكنك القول إنها لم تكتب بذات اليد ؟.. »

قارنت الخطين ، وتساءلت عما إذا كان لانسلوت الذى أدرك الآن أنه مجنون تمامًا ، قد قضى وقته يحاول تقليد خط بو حرفيًا ؟

ـ « اقرأ .. وقل لى إن كان هذا الإبداع يمكن أن يخرج من عقل غير عقل بو .. »

قربت الورقة من عينى ورحت أجاهد كى أقرأ مع لهب الشمعة المتراقص ، لكن بدا لى أن الورق .. الورق الذى لم يصفر لونه للغرابة .. يحمل علامة مائية واضحة باسم شركة شهيرة للأدوات المكتبية ، والتاريخ هو 1949

تماسكت ووقفت وأنا أبتعد عن الرجل . الآن أعرف الحقيقة .. أعرف أنه بعد مائة عام من موت بو هناك روح تشبه روحه موجودة فى جسد مضيفى . سمه تناسخًا أو حلولاً .. سمه ما تشاء ، لكن كانتج كان بعقله المختل هو إدجار آلان بو .

كان صوت الرعد عاليًا جدًا إذ استدرت لمضيفى وصحت :

ـ « اعترف .. !.. ألم تكتب أنت هذه القصص وأنت تتخيل أنك إدجار آلان بو نفسه ؟.. أليس صحيحًا أن الوحدة والحياة فى الماضى جعلاك تعانى وهمًا متفردًا ، حتى بلغت مرحلة حسبت معها أن بو ما زال حيًا فى شخصك ؟.. »

اهتز بعنف وارتجفت ابتسامة مريضة على شفتيه وهو يقول :

ـ « أحمق ! ما قلته لك هو الحقيقة .. هل تنكر الأدلة التى جنتها حواسك ؟.. هذا البيت حقيقى والكتب موجودة والقصص موجودة .. كلها موجود كذلك الجسد الراقد فى القبو تحتنا !.. »

مددت يدى إلى صندوق صغير على المنضدة وفتحت غطاءه .. وقلت :

ـ « قلت إن جدك وجد ميتًا وهذا الصندوق مضموم إلى صدره وقلت إنه يحوى تراب بو . لكنك ترى أن الصندوق فارغ .

يجب أن تعترف أن قصتك ملفقة .. خيال .. جسد بو ليس فى هذا البيت .. »

ازدادت ابتسامته اتساعًا وقال :

ـ « حقًا .. التراب اختفى لأننى استعملته .. لقد وجدت هذه الوصفة السحرية فى كتب السحر .. الطريقة التى تعيد اللحم للحياة من الأملاح الأساسية الباقية فى القبر . بو لا يرقد تحت هذا البيت .. بل يعيش فيه !.. والقصص التى رأيتها هى إبداعه بعد موته !.. »

ودوى الرعد من جديد .

ـ « كانت هذه قمة خططى .. قمة عملى .. قمة حياتى !.. لقد عاد بو للحياة لحمًا متحركًا .. وهو يمارس الكتابة فى قبوى !.. إن سرقة جثة مزحة غيلان لكن العبقرية هى ما فعلته أنا !.. »

وصلتنى كلماته خافة وسط الرعد الذى هز البيت هزًا .. وراح لهب الشمعة يتراقص .

ـ « كنت سأريه لك لكن لا أجرؤ ، فهو يكرهنى كما يكره الحياة .. لقد حبسته فى القبو وحيدًا وهو ليس

بحاجة للطعام والشراب .. قلمه يتحرك على الورق .. للأبد يتحـرك .. يصب عليه كل الأفكار السوداء التى خطرت له فى حيـاته .

« ألا تفهـم مشـكلتى ؟.. لقـد أعـدته للحيـاة ليهـدى العالم المزيد مـن قصـصه ، لكن هـذه القصص التى كتبها مشحونة برعب لا يتحمله أحد ولا يمكن عرضها على الناس وكذلك هو .. »

وتردد الصدى إذ دنوت من الباب .. كنت أرغب فى الفرار من هذا البيت الملعون ومالكه .

أمسك كاننج يدى بقوة وصرخ بصوت أعلى من العاصفة :

ـ « لا تستطيع الرحيل !.. ألم تسمع أنين الباب وسط صوت الرعد ؟.. »

أزحته جانبًا فسقط للخلف وأوقع الشمعدان ، فاشتعل اللهب فى البساط .

صرخ :

ـ « انتظر !.. ألم تسمع خطواته فى الطابق السفلى ؟.. أؤكد لك أنه يقف الآن خارج الباب !.. »

هبت الريح وتعالى اللهب والدخان أمامنا . أزحت جانبًا بعض الألواح واتجهت إلى القاعة .

أتكلم هنا عن الريح واللهب اللذين حجبا الرؤية .. أتكلم عن صرخات كاننج وصوت الرعد . أتكلم عن رعب الكراهية الذى أفقدنى كل تعقل .

بالفعل خارج الباب كان هناك شىء .. شبح سامق له وجه مألوف .. شاحب له جبين عال وشارب ..

رأيته للحظة بينمـــا تحرك الرجـــل ـ الشـــبح ـ الجثـــة ـ الهلوسة ... ســـمه ما تشـــاء .. تحرك نحو كاننج واحتضنه بطريقة لا فرار منها .

واندفع الشبحان نحو اللهب المتعالى ..

من تلك الحجرة وهذا البيت هربت لا ألـــوى على شىء . العاصفة مستمرة فى غضبها والآن جاءت النار تطالب ببيت كاننج ملكًا لها .

وهج أضاء الممر أمامى فاستدرت للخلف ، فلم أر إلا اللهب ..

اللهب الذى تعالى ليلتهم البيت ، وأسرار الرجل الذى يهوى جمع كتب بو .



أحب الشقراوات

بالطبع هى مســألة تــذوق شخصى ولا أكثر . إنه ضــعف للسمراوات أو حمراوات الشعر ، وأعتقد أن معهم حقًا فلا أنتقدهم البتة .

لكن الشقراوات هن المفضلات لى . طويلات كن أم قصيرات ، بدينات أم نحيلات ، ذكيات أم غبيات . كل الأشكال وكل الجنسيات . سمعت كل الاعتراضات .. جلدهن يشيخ بسرعة . طائشات مغرورات مستهترات .. هذا لا يضايقنى البتة حتى لو كان حقيقيًا . أحبهن ولست وحدى فى هذا .. مارلين مونرو يحبها الناس وكذا كيم نوفاك .

يكفى هذا فأنا لا أعتذر .. ما أفعله شأنى الخاص . لهذا عندما وقفت عند ركن شارعى ريد وتمبل فى الثامنة مساء أبحث عن شقراء فليس على أن أعتذر .

لربما كنت متأنقًا أكثر من اللازم . لربما ما كان على أن أغمز بعينى .. لكن هذه مسألة خلافية .. أليس كذلك ؟

حتى لو كانت الفتاة فارعة الطول ذات الشعر القصير قد نظرت لى وغمغمت :

– « رجل عجوز مقرف !.. »

فهذا شأنها .. أنا معتاد هذه الاستجابات ولم تضايقنى قط .

ظهرت فتاتان لطيفتان تلبسان الجينز وكلاهما لها شعر بلون قمح (منيسوتا) وقدرت أنهما أختان . لا تناسباننى طبعًا فهذا سوف يجلب لك المتاعب لأنهما صغيرتان جدًا .

كانت ليلة ربيع دافئة . لاحظت فتاة شقراء تمشى مع بحار وبدت لى رائعة ، لكنها كانت مع بحار . هناك واحدة معها طفل وواحدة معها كتبة اختزال ، وواحدة كدت أكلمها لولا أن أوقف صديقها سيارته ولحق بها .

بدا كأن كل إنسان فى الأرض ظفر بشقرائه باستثنائى أنا . لكنى اعتدت أن أتعامل مع هذه الأمور بفلسفة .

نظرت لساعتى فوجدتها نحو التاسعة وقررت أن استمر .. لربما كنت « رجلاً عجوزًا مقرفًا .. » لكن لدى حيلة أو حيلتين .

أفضل مكان تجد فيه الشقراوات هو فى (دريمواى) . قاعة رقص رخيصة لكن لا يوجد قانون ضد هذا .

لم أكن مولعًا بقاعات الرقص تلك .. ما يسمونه ظلمًا (موسيقا) يؤذى أذنى ، ومنظر الرقص نفسه يفسد رقة مشاعرى . هناك جو شهوانى عام يضايقنى ، لكن هذا جزء من اللعبة على كل حال .

كانت قاعة (دريمواى) مزدحمة الليلة . زحام من الرجال بعضهم من طبقة العمال ، وبالطبع كثير من الفتيات . من أين جاءت تلك الفتيات بثيابهن ؟.. التنورات القرمزية والثياب الكريهة ذات لون الكرز . وكل هذه الفظائع ذات اللون الأرجوانى . الماكياج المبهرج الأحمر والأبيض والمجوهرات الرخيصة ..

برغم هذا كان جمال نادر يتفتح هنا .. وسط الموسيقا المعجونة برائحة العطور الرخيصة ومزيل العرق والتبغ وبودرة التلك ..

رأيت فتاة فارعة الطول تبدو كملكة . عيناها غارقتان فى حلم بعيد . كانت سمراء .. وكانت هناك فتاة حمراء الشعر ترقص كأنها لهب شمعة يتأرجح .. ثم كانت هناك شقراء ....

نعم .. شقراء !.. صغيرة جدًا ممتلئة الجسد بطريقة تذكرك بالأطفال نوعًا ، متعبة لكنها تملك ما أبحث عنه . الشعر الأشقر الحقيقى .. شقراء حتى النخاع .. لو كان هناك شىء لا أطيقه فهو الشقراء الزائفة . الشعر المصبوغ الذى خدعنى كثيرًا قبل أن أعرف الحقيقة .

هذه شقراء حقيقية كربات الحصاد .. راقبتها وهى تجوب الحلبة صورة مجسمة للملل . كان رفيقها فى الرقص مزارعًا أحمق .. ثيابه غالية لكن ذلك العنق الأحمر يطل من ياقة قميصه، ويبدو أنه كان يمضغ خلة أسنان وهو يرقص !

اتخذت قرارى .. حان الوقت . نهضت وابتعت لنفسى تذاكر بثلاثة دولارات ثم انتظرت ..

انتهى الدور فوقفت الشقراء على جانب الحلبة ، بينما ابتعد الفلاح .. غالبًا ليبتاع تذاكر جديدة .

مشيت نحوها وأخرجت التذاكر وسألتها :

ـ « ترقصين ؟.. »

هزت رأسها دون أن تنظر لى . كانت مرهقة . كان هناك نمش على ذراعيها الممتلئتين وبدا لى أن عينيها خضراوان ، لكن ربما كان الثوب هو السبب .

بدأت الموسيقا . يجب القول إننى وإن كنت أمقت قاعات الرقص فإننى أجيد الرقص فعلاً .. أقولها بكل تواضع . لقد وجدت محتمًا أن أصير راقصا بارعًا لأكسب الصداقات .

لم نمض فى الرقص أكثرمن 30 ثانية عندما نظرت لى وقالت للمرة الأولى :

ـ « ياه ! أنت راقص بارع !.. »

هذه الـ (يااه) كانت كل ما أحتاج له . لقد جعلتنى هى وطريقتها الساذجة فى الكلام أعرف خلفياتها كفتاة من مدينة صغيرة تركت المدرسة وجاءت هنا . ربما جاءت مع رجل .. عملت لفترة فى مطعم ثم وجدت أن قاعة الرقص أسهل ..

هل هذا كثير لتستخلصه من كلمة واحدة ؟.. نعم . لكنى قابلت شقراوات كثيرات والقصة دومًا واحدة ، لو كن من الطراز الذى يقول (يااه) .. لا أشكو هنا فالحقيقة أننى أحب هذا الطراز .

كان بوسعها أن تدرك أننى معجب بها ، وتوقعت أن تقول لى ملاحظتها التالية :

ـ « ما زالت هناك حياة فى الصبى العجوز بعد .. »

قلت لها ونحن نرقص :

ـ « لن أخدعك .. أنا مثل الرجال الذين تقابلينهم .. وحيد .. لن أطلب منك أن نخرج معًا فأنت تعملين هنا لكنى أعرف أننى لو ابتعت المزيد من التذاكر ـ بعشرة دولارات مثلاً ـ فإن بوسعنا الخروج والجلوس فى مكان نشرب فيه شيئًا .. »

ـ « لا أعرف .. .. »

ـ « بالطبع لا تعرفين .. لكن تذكرى أننى عجوز فعلاً بما يسمح بأن أكون جدك .. هذا يطمئنك .. »

كان أهم إغراء فى الموضوع أن تجلس بعد كل هذا الإرهاق .

قالت لى :

ـ « ليكن .. هيا بنا يا سيد .. »

ـ « (بيرة) !.. هذا صحيح .. اسمى (بيرة) !.. ليس المشروب .. لكن بوسعك شرب أى شىء تريدين يا آنسة .. »

ـ « شيرلى كولنز .. »

وانفجرت فى الضحك ...

تركتها واتجهت لشراء التذاكر وأجريت الترتيبات الأساسية مع المدير . هذا كلفنى خمسة دولارات أكثر لكنه لم يضايقنى .. كلنا بحاجة إلى أن نأكل كما تعرف .

لم تكن سيئة أبدًا .. كانت عيناها رماديتين وقد اصطحبتها للشارع ووجدنا مكانًا هادئًا .

كانت الساقية من ذلك الطراز الأعجف ذى الوجه الكالح الكئيب . تمضغ اللادن وتلبس جوربين . وقد جلبت لنا مشروب الشعير بالثلج الذى طلبته . دفعت لها مع البقشيش ففرقعت اللادن فى امتنان وتركتنا .

أزحت مشروبى لأضعه أمام شيرلى جوار مشروبها ، وقلت إننى لا أشرب إلا نادرًا فقالت لى فى ريبة :

ـ « لحظة يا سيدى .. أنت لا تحاول جعلى أفقد وعيى .. أليس كذلك ؟.. »

قلت لها بلهجة أستاذ الجامعة الحكيم :

ـ « بوسعك ألا تشربى طبعًا .. »

ـ « ليكن .. على الفتاة أن تكون حذرة كما تعلم .. »

وأفرغت المشروب الأول فى فمها ، ثم سألتنى :

ـ « لا يمكن أن يكون هذا مسليًا لك .. أن تجلس وتشاهد فتاة تشرب .. »

ـ « ألم أقل لك إننى وحيد وإن ما أريده هو الصحبة ؟.. »

كنت أراقب شقرتها وجمالها .. لماذا يصر الإنسان على أن يوجد مخ فى جسم جميل كهذا ؟ لا فارق عندى ويمكن أن أصغى لما تقول من هراء وكلام فارغ . هنا استوقفتها واعتذرت :

ـ « لحظة .. يجب أن أوجه تحياتى لصديق قديم .. »

وعبرت القاعة لأحييه .. فى العادة ما كنت لأعرفه لكننى لاحظته يقف هناك مع فتاة سوداء جميلة . قلت له بنعومة :

ـ « مرحبًا .. أرى أنك عدت لحيلك القديمة !.. »

حاول أن يبدو متعاليًا لكنه لم يستطع إخفاء الذعر :

ـ « اسمع هنا .. أنا لا أعرفك .. »

ـ « بل تعرفنى .. .. »

وألصقت أذنه بفمى وقلت شيئًا فلم يملك إلا أن يضحك . وقال :

ـ « حيلة قذرة وقد صدقتها .. أين تقيم ؟.. »

ـ « مكان يدعى (شقق شين) .. وأنت ؟.. »

ـ « بعيد جدًا .. هل تروق لك ؟.. »

وأشار للفتاة فقلت :

ـ « لطيفة لكنك تعرف ذوقى ونقطة ضعفى .. »

وضحكنا ..

ثم قلت له ملوحًا بيدى :

ـ « حسن .. لن أضايقك أكثر .. أردت أن أتأكد من أنك بخير .. على المرء أن يكون حذرًا خاصة مع هذا الزحام الرخيص من حولنا .. »

كانت شيرلى قد طلبت لنفسها مشروبًا آخر فدفعت ثمنه ، وأعطيت الساقية بقشيشًا . قالت الفتاة :

ـ « رباه !.. أنت بالتأكيد تبعثر مالك .. »

ـ « المال لا قيمة له عندى .. »

ووضعت أمامها خمس ورقات من ذات العشرين .. فقالت :

ـ « لم يا سيد (بيرة) ؟.... فعلاً لا أفهم .. »

لكن لعابها كان يسيل فعلاً .. أخذت المال .. كلهن يفعلن ذلك .

سألتنى وهى تمسك يدى :

ـ « كيف تتحصل على كل هذا المال ؟.. »

ـ « الأمر سهل لو عرفت الطريقة .. »

ـ « تخدعنى .. ما هى مهنتك ؟.. »

ـ « سوف تندهشين .. يمكنك القول إننى متقاعد أكرس كل وقتى لهواياتى .. »

ـ « هل تعنى أنك تجمع اللوحات والكتب وما إلى ذلك ؟.. »

ـ « يمكنك قول هــذا .. ربمــا رغبت فى دعوتك لترى مجموعتى يومًا .. »

ـ « هل تدعونى حقًا لرؤية مجموعتك ؟.. »

ـ « بالتأكيد .. »

وضعت النقود فى حقيبتها ، وقالت : لنذهب يا بابا !

لم أتضايق من لفظة (بابا) هذه .. كانت شقراء لذيذة برغم أنها كانت تتطوح سكرًا . اخترقت نصف دستة من العيون ظهرى ونحن نتجه لباب البار خارجين . أعرف فيما يفكرون : .. » حفرية جافة كهذه مع فتاة صغيرة .. إلام سيصير العالم عما قريب ؟.. »

لكنهم بالطبع كانوا يعودون لاحتساء مشروباتهم ، كأنهم لا يبالون فعلاً بما سيصير له العالم عما قريب . يمكن أن تسقط القنابل وتحلق الأطباق الطائرة لكن الناس سيظلون فى البارات يشربون ويصدرون الأحكام .

شيرلى مناسبة لى جدًا .. من السهل أن أجد سيارة أجرة أركبها فيها . وأطلب من السائق (شقق شين) . التصقت شيرلى بى فتراجعت .

ـ « ماذا دهاك يا بابا ؟.. ألا أروق لك ؟.. »

ـ « بلى .. تروقين .. »

ـ « إذن لا تتصرف كأننى سأعضك .. »

ـ « ليس الأمر كذلك .. أنا صادق عندما قلت إننى لا أريد شيئًا من .. من هذا القبيل .. »

بلغنا البناية فناولت السائق ورقة بعشرة دولارات وليبق الباقى لنفسه .

قالت شيرلى :



ـ « لا أفهمك يا مستر (بيرة) .. كيف تبعثر المال بهذه الطريقة ؟.. »

ـ « لتقل إننى مغادر المدينة قريبًا .. »

وتأبطت ذراعها واقتدتها للمصعد وضغطت الزر . فى الطريق بدأت شيرلى تفيق فجأة ، وواجهتنى ووضعت يديها على كتفى وقالت :

ـ « اسمع يا سيد (بيرة) .. أنا رأيت فيلمًا كهذا منذ قريب .. إنفاقك المال وكلامك عن مغادرة المدينة .. أنت لست مريضًا أليس كذلك ؟.. أعنى أنك لم تأت من عيادة الطبيب الذى أخبرك بقرب وفاتك ؟.. »

كان عطفها مؤثرًا ، فقلت لها :

ـ « لا شىء من هذا .. أنا بصحة جيدة وأعتقد أننى سأبقى كذلك لفترة .. »

كادت تعانقنى فتراجعت فى الوقت المناسب لأفلت منها ، وغادرنا المصعد فقالت فى حماس :

ـ « آه .. أنت تعيش على السطح .. كم أن هذا مثير !.. »

قلت لها :

ـ « أدخلى أنت أولاً .. »

كان هناك باب اجتازته وانغلق من خلفنا فساد الصمت . كان كل شىء هادئًا فى ضوء القمر وكان كل شىء جميلاً . كانت المدينة المظلمة تمتد تحتنا وقد تقلدت قلادتها النيون وعلقت أقراط الرذيلة . رأيت هــذا المشهد مرارًا وأذكره حيث جئت ، لكنى لا أريد أن أستبدله بحياتى .. لا أريد أن أعيش فى المدينة .

كانت الفتاة تحدق لكنها لا تنظر للشارع .. تتبعت عينيها إلى حيث البناية الملاصقة ، وإلى حيث كان شىء يتألق فى الظلمة . كان من الصعب أن تراه من البيوت الملاصقة كما كان من الصعب أن تراه من الباب لدى النظرة الأولى ..

لكنها رأته وقالت :

ـ « ياه !.. سيد (بيرة) .. أنظر لهذا !.. »

نظرت فقالت لى :

ـ « هل هى طائرة أم هى شىء من تلك الأطباق الطائرة ؟.. »

ثم نظرت لى وقالت :

ــ « ماذا هنالك يا سيد (بيرة) ؟.. لا تبدو لى مندهشًا .. هل تعرف بهذا ال شىء ؟.. »

ــ « نعم .. هو لى .. »

ــ « طبق طائر ؟... مستحيل .. أنت رجل و ... »

هززت رأسى ببطء وقلت :

ــ « ليس بالضبط يا شيرلى .. أنا فى الحقيقة لا أبدو كهذا .. ليس من حيث أتيت .. »

وأشرت لجلدى وقلت :

ــ « استعرت هذا من (ريل) .. »

ــ « ريل ؟.. »

ــ « صديق لى .. يجمع كل ذلك .. كلنا هواة جمع .. هى هوايتنا وقد جئنا الأرض لنجمع .. »

ولم أر تعبير وجهها ..

ــ « ريل له هواية غريبة بشكل ما . لا يجمع سوى حروف (ب) .. لديه (بروسنون) وثلاثة (بيكر) و(بيرة) .. هذا هو الجسد الذى أستعمله الآن .. لقد وجده فى المكسيك .. »

همست وهى تبتعد :

ــ « أنت مجنون !!.. »

ــ « صديقى (كور) لديه مجموعة من كل الشعوب .. مار الذى رأيته فى الحانة يحب جمع سكان (ميلانيزيا)(*) .. »

الآن صرت لصيقًا بها فلم تتراجع أكثر .. كانت على حافة السقف .

ــ « خذى مثال (فيس) .. إنه يجمع حمراوات الشعر ولا شىء سواهن ، ولديه مجموعة ممتازة منهن محنطات . عملية ممتعة .. أؤكد لك هذا !.. بالنسبة لى أنا أحب الشقراوات .. »

اتسعت عيناها ولم تجد كلمات تخرج من حلقها .. قالت لاهثة :

ــ « أنت ستحنطنى ؟.. »

(*) مجموعة الجزر فى منطقة أستراليا ونيوزيلندا وبابو وغينيا الجديدة .

ضحكت وقلت :

ـ « لا يا عزيزتى .. أنا لا أحنط ولا أستعمل سوائل حافظة .. أنا أجمع لغرض آخر .. »

ـ « أنت تخدعنى !.. »

ـ « لا . لا .. . لنقل إن لدى أفكارى الخاصة .. لقد جمعت مائة شقراءحتى اليوم منذ البدء . أنت رقم 103 .. »

ولم أفعل شيئًا لأنها غابت عن الوعى . هذا سهل الأمور .. لا داعى لعمل فوضى على السقف .. فقط حملتها للسفينة على الفور .

سوف يتذكر الناس العجوز الذى أخذ شيرلى كولنز من قاعة الرقص ، وسوف يدور تحقيق ، وهذا كل شىء .

لكن هذا لا يضايقنى .. ريل لديه أجساد كثيرة غير (بيرة) العجوز .. فى المرة القادمة سأستخدم جسدًا لشاب . التنوع هو توابل الحياة .

ليلة جميلة هى وقد ظللت أغنى طيلة طريق العودة .. لكن أفضل الأجزاء لم يأت بعد .

أحب الشقراوات .. يمكنهن أن يسخرن منى متى أردن ، لكن بوســعى أن آخــذ أية واحــدة منهــن .. وكما قلت هى مسألة تذوق ..

فالشقراوات مذاقهن أفضل !



استراح طيلة اليوم ، بينما البنادق تدوى فى القرية من تحت .
ثم فى ظلال العصر المنحدرة ، هدأت الضوضاء وعرف أن الأمر انتهى . لقد عبر الأمريكيون النهر .. لقد رحلوا أخيرًا وعاد السلام .

هنا خرج الكونت بارزاك من السرداب ، فوق القرية بين خرائب القصر العظيم على جانب الهضبة .

كان الكونت نحيلاً طويل القامة .. نحيلاً بشكل مخيف كالجثث ، وكان لوجهه ويداه لون الشمع الشاحب ، وشعره أسود لكن ليس كعينيه والهالات تحتهما . كانت عباءته سوداء .. لكن أوضح لون يحيط به كان الأحمر الذى يميز شفتيه إذ تبتسمان .

كان يبتسم الآن فى ضوء الغسق ، لأن وقت اللعب قد جاء .

اسم اللعبة هو الموت .. وقد لعبها مرارًا .

لعبها فى باريس على مسرح الجران جوينيول ، وكان اسمه وقتها (إريك كارون) ثم جاءت الحرب وهكذا توقف كل شىء .
قبل أن يستولى الألمان على باريس كان يعمل معهم سرًا ،

وكممثل كان لا يقدر بثمن . هذا تمثيل راق له كثيرًا لأنه كان بلا أضواء ولا ماكياج .. وكان هو الذى يكتب الدور لنفسه .

لقد قال لرؤسائه الألمان :

ـ « الأمر بسيط .. إن قصر (بارزاك) مهجور منذ عهد الثورة .. لا أحد من الفلاحين يجسر على الدنو منه بسبب الأسطورة .. يقال إن آخر كونت بارزاك كان مصاص دماء .. »

هكذا تم ترتيب كل شىء تم وضع جهاز الإرسال قصير الموجة فى السرداب تحت القصر ، وعمل عليه ثلاثة محترفين .. بينما هو يشرف على العملية كملاك حارس .. لا .. كشيطان حارس ..

قال لهم :

ـ « هناك مقبرة على جانب الجبل .. مقبرة للفقراء والجهلة . بها قبو مهم هو مدفن أسرة بارزاك . سوف نفتحه ونخرج بقايا آخر كونت ونجعل القرويين يكتشفون أن التابوت فارغ . لن يدنوا من المكان أبدًا . إن كونت بارزاك مصاص دماء ويبدو أنه عاد للمشى .. »

هنا سألوه :

ـ « ماذا لو كانوا متشككين ؟.. ماذا لو لم يصدقوا ؟.. »

كان جاهزًا بالإجابة :

ـ « سوف يصدقون لأننى سأمشى فى الليل ككونت بارزاك .. »

لما رأوه بالعباءة السوداء ، لم يعد هناك شك .. إن الدور دوره ..

الدور دوره وقد لعبه ببراعة . هكذا فكر الكونت وهو يتسلق الدرجات ويدخل الغرفة التى بلا سقف حيث لا يخفى القمر سوى نسيج العنكبوت . الآن حان وقت إنزال الستار .. لو أن الأمريكيين مروا بالقرية فقد حان وقت الانحناء للجمهور والخروج ، وقد تم ترتيب هذا جيدًا .

كانت للقبر فائدة أخرى أثناء انسحاب الألمان ، فقد كان هناك مخزن من التحف الفنية الخاصة بالمارشال (جورنج)(*) مخبأة فى سلام داخل السرداب . هناك شاحنة محملة ، وهناك من يقود الشاحنة إلى القبر لوضع ما تحمله هناك

(*) قائد الطيران لدى هتلر .

عندما يصل الكونت هناك سوف يرتدون ثياب الجيش الأمريكى المسروقة ، ويحملون الهويات المزورة ويعبرون النهر لينضموا للقوات الألمانية عند النقطة المحددة سلفًا . لا شىء قد ترك للصدفة .. يومًا ما سوف يكتب مذكراته و ....

لكن لا وقت لهذا الآن .. لقد ارتفع القمر وحان وقت الرحيل .

كان بشكل ما يمقت الرحيل . ما كان الآخرون يرونه غبارًا ونسيج عناكب كان بالنسبة له خشبة مسرح يؤدى عليه أعظم أداء له . لم يحب طعم الدم وهو يلعب دور مصاص الدماء لكنه أحب طعم النصر .. وهو قد انتصر ..

شكسبير قال : « الفراق ألم عذب .. » .. شكسبير كتب عن الأشباح والعفاريت لأنه كان يدرك أن جمهوره ـ الجموع الغبية ـ يؤمن ب شىء كهذا ..وما زال يؤمن ..

هبط إلى الظلال خارج مدخل القصر ..

فى هذا المكان وبين هذه الأشجار قابل ريمون منذ أسابيع . ريمون هو أكثر أفراد جمهوره تقديرًا لفنه .. عجوز أبيض

الشعر معتز بنفسه .. عمدة قرية بارزاك .. لكن الأحمق العجوز لم يعتز بنفسه كثيرًا عندما رأى الكونت فى الظلام . لقد صرخ كامرأة وجرى .

كان العمدة صاحب الفضل فى ترويج الإشاعات .. قال للجميع إن الكونت قد خرج من قبره .

هو و(كلوديه) الطحان الأبله اقتادا مجموعة رجال مسلحة للمقبرة ، ودخلوا قبر بارزاك . فأى رعب أصابهم عندما وجدوا تابوت الكونت مفتوحًا وخاليًا !

لم يحو التابوت أصلاً سوى التراب الذى بعثرته الريح . لم يعرفوا كذلك ما حدث لسوزان .

كان الكونت يعبر ضفاف النهر الآن .. هنا فى ليلة سابقة وجد الفتاة .. ابنة ريمون مع حبيبها أنطوان لوفيفر . كان للفتى ساق عرجاء أخرجته من الجيش لكنه جرى كالغزال عندما رأى الكونت . ظلت سوزان لسوء حظها واقفة لذا صار من الضرورى التخلص منها . دفن جسدها فى الأحراش تحت

صخور ضخمة ، مطمئنًا إلى أنها لن تكتشف . لكنه كان حادثًا مؤسفًا .

فى النهاية صارت الأمور كأفضل ما يكون . كان ريمون الأحمق واثقًا من أن مصاص الدماء يمشى . لقد رأى المخلوق بنفسه ورأى القبر الخالى . اختفت ابنته ..

مسكين ريمون .. لم يعد هو العمدة . دمر القصف قريته .. لم يبق منه سوى عجوز جاهل محطم يغمغم بكلام فارغ عن الموتى الأحياء .

ابتسم الكونت وواصل النزول فى المنحدر . كان يرى المقبرة الآن وشواهد القبور تبرز من الأرض كأنامل مجذومين فى ضوء القمر . لم يكن يحب هذه الخواطر . كان يمقت رؤية الدم كما كـــان يملك رهـــاب الأماكن المغلقـــــة (كلوستروفوبيا) نحـــو السراديب .

كان دورًا عظيمًا لكنه انتهى لحسن الحظ . من الجميل أن تعود لتمثيل دور البشرى من جديد .

رأى الشاحنة تنتظر وسط الظلال . كان مدخل السرداب مفتوحًا لكن لا صوت منه . هذا يعنى أن رفاقه أتموا التحميل وتأهبوا للرحيل . كل ما عليه هو تبديل ثيابه وإزالة الماكياج والرحيل .

اتجه للشاحنة المظلمة .. هنا .. . .

عندما أحاطوا به شعر بشوك المذراة فى ظهره .. وسطعت الفوانيس فى عينيه ، وسمع صوتًا حازمًا يقول :

ــ « لا تتحرك !.. »

لم يتحرك وهم يحيطون به . أنطوان .. كلوديه .. ريمون والآخرون .. 12 فلاحًا من القرية . ينظرون له بمقت وخوف .

كيف جسروا ؟

تقدم العريف الأمريكى منه .. هذه هى الإجابة إذن .. العريف الأمريكى .. إنهم يسيطرون على الموقف فلا حاجة به إلى البحث عن جثث مشغلى اللاسلكى التى تكومت فى مؤخرة السيارة ليعرف ما يدور .

لقد وجدوا رجاله وهم يعملون ، فقتلوهم ثم نادوا الفلاحين .

الآن يوجهون له أسئلة بالإنجليزية طبعًا .

كان يعرف الإنجليزية ، لكنه لم يجب :

ــ « من أنت ؟.. هل هؤلاءالرجال يأتمرون بأمرك .. . هل كنت ستركب هذه الشاحنة ؟.. »

هز رأسه وابتسم .. بعد قليل كفوا عن السؤال كما توقع .

استدار العريف لمرافقه وقال :

ــ « لنذهب .. »

تسلق المرافق إلى الشاحنة وبدأ المحرك يعود للحياة . واستدار العريف لريمون وقال :

ــ « سنعبر بها النهر .. راقبوا صاحبنا هذا فلسوف يرسلون له حراسة خلال ساعة .. »

هز ريمون رأسه .

انطلقت الشاحنة فى الظلام .

لقــد عم الظلام وتوارى القمر خلف الســحب . ونظر الكونت لمن قبضوا عليه .. جهلة أغبياء .. لا فرصة للهرب .. إنهم ينظرون له .

كان ريمون أول من تكلم .. دفعوا سجينهم للأمام بالمذراة .. هنا بدأ الكونت يتبين فرصته الأولى فى الفرار . لم يكن هناك رجل يجسر على لمسه وعندما كان ينظر لهم كانوا يخفضون عيونهم .

سوف يضــعونه فى السرداب لأنهــم يخافونه . لقــد رحل الأمريكان فهم يخشونه أكثر . إنه بالنسبة لهم مصاص دماء . قد يتحول لوطواط ويطير .

ابتسم الكونت ابتسامة شريرة وكشف عن أسنانه استدار لهم وطوح عباءته وهى حركة صارت لازمة من لوازم دوره . أصدر الرجال أنينًا ورسم ريمون علامة الصليب . وكان هذا أفضل من التصفيق له .

فى ظلام السرداب استرخى الكونت .. من المرسف أن الخطة لم تتم كما أراد لها . سوف يأخذونه للقيادة الأمريكية ويحققون

معه وسوف تكون هناك لحظات غير سارة . لكن أسوأ شىء ممكن هو أن يوضع فى معسكر اعتقال .

كان المكان مظلمًا كريه الرائحة . فك العباءة قليلاً عن حلقه . قد يكون الأفضل أن ينزعها تمامًا . لقد لعب دور مصاص الدماء ببراعة لكنه الآن راغب فى الرحيل .

سمع صوت غمغمة من الخارج مع صوت يشبه صوت الخدش . تحرك للباب وأنصت لكن لم يسمع شيئًا .

ماذا يفعل الحمقى هنا ؟ تمنى أن يعود الأمريكان سريعًا فالحر شديد ... ثم لم هذا الصمت المفاجئ ؟

ربما رحلوا ..

هذا هو .. الأمريكان طلبوا منهم البقاء وحراسته لكنهم كانوا جبناء . لقد خافوا وهربوا وهذا يعنى أنه حر الآن ..

فتح الكونت الباب .

رآهم عندئذ يقفون وينتظرون . هنا رأى ريمون يتقدم للأمام وكان يحمل فى يده شيئًا .. عرفه الكونت إذ تذكر صوت الخدش .

كان وتدًا طويلاً له طرف مدبب .

فتح فمه ليصرخ ويخبرهم أن هذا مقلب ، وأنهم مجموعة حمقى مؤمنين بالخرافات .

لكنهم حملوه حملاً للقبو ورفعوه ليلقوه فى تابوت مفتوح . من ثم رفع ريمون الوتد فى الهواء وصوبه على قلبه .

فقط عندما هبط الوتد أدرك أنه من الممكن أن يلعب المرء الدور ببراعة أكثر من اللازم .





يبدأ الأمر دومًا بالطريقة ذاتها ..

أولاً هناك ذلك الإحساس .

هل شعرت من قبل بخطوات قدم صغيرة تمشى فوق قمة جمجمتك ؟.. . خطوات فوق جمجمتك أمامًا وخلفًا .. أمامًا وخلفًا ..

هكذا يبدأ الأمر ..

أنت لا ترى من يمشى هناك لأن الأمر يتم على قمة رأسك . لو كنت بارعًا انتظر فرصة مناسبة ثم مرر يدك فى شعرك . لكنك لن تقبض على المتسلل .. هو يعرف .. حتى لو وضعت يديك معًا على رأسك فلسوف يفلت من بينهما .

سريع جدًا هو .. لا يمكنك تجاهله . يحاول الخطوة التالية فينزلق على مؤخرة عنقك ويهمس فى أذنك .

تشعر بجسده رقيقًا باردًا يضغط على قاعدة المخ . هناك شىء مخدر فى مخالبه لأنها لا تؤلم برغم أنك فيما بعد ستجد الكثير من الخدوش فى مؤخرة عنقك .

هنا تبدأ فى المقـــاومة . تحـــاول ألا تســمع ما يقول . لأنك لو أصغيت لضعت . يجب أن تطيعه وقتها

لكم هو شرير وحكيم !

يعرف كيف يخيفك ويهددك لو قاومت . لكنى كففت عن ذلك .. فقط أصغى وأطيع . عندها لا تبدو الأمور سيئة .. يمكنه أن يكون ملطفًا ومقنعًا .. ربما مغريًا كذلك . لكم من أمور وعدنى بها !

وهو يفى بوعوده ..

يظننى الناس فقيرًا لأننى لا أملك مالاً وأعيش فى كوخ حقير على حافة المستنقع ، لكنه أعطانى ثروة .

بعد ما أنفذ طلبه يأخذنى بعيدًا لفترة .. هناك أماكن أخرى غير هذا العالم حيث أصير ملكًا . الناس يضحكون لأنه لا أصدقاء لى ، والفتيات يسخرن منى ويطلقن على (الفزاعة) . لكنه يجلب لى الملكات عندما أنفذ أوامره .

أحلام ؟.. لا أظن ذلك .. إن الحياة الأخرى فى كوخ جوار المستنقع هى التى تبدو لى كحلم . ولا حتى القتل .. أنت تعرف إننى أقتل .. فهذا هو ما يريده إينوخ ..

يطلب منى أن أقتل الناس ..

لا أحب هذا .. كنت أحارب لمنع هذا .. قلت لك هذا من قبل .. لكنى كففت عن ذلك .

إينوخ يريد أن أقتل الناس من أجله وهو يعيش فى رأسِى . لا أراه ولا استطيع الإمساك به . يمكننى أن أسمعه وأطيعه .

أحيانًا يتركنى أيامًا .. ثم فجأة يعود ليحك رأسى . اسمع همسه بوضوح يخبرنى بشخص قادم عبر المستنقع .

لا أعرف كيف يعرف ذلك ، فهو يصف القادم بدقة .

ــ « هناك متشرد يمشى فى طريق إيلزورثى .. رجل قصير مكتنز أصـلع . اسـمه (مايك) .. يلبس سويتر بنيًّا وأوفرول أزرق . سوف يتوقف قرب الشجرة ..

« من الأفضل أن تتوارى خلف هذه الشجرة . انتظر حتى يبحث عن حطب .. تعرف ما يجب عمله . هات الفأس الآن .. بسرعة .. »

أحيانًا أسأل إينوخ عما سيعطيه لى فأنا أثق به . يجب أن أفعل .. إينوخ لا يخطئ وهو يحمينى من المتاعب . هذا ما فعله حتى آخر مرة ..

ذات ليلة جلست فى الكوخ التهم العشاء عندما أخبرنى بالفتاة . قال لى :

ــ « سوف تأتى لزيارتك .. هى فتاة جميلة تلبس الأسود .. .. »

حسبت أنه يعدنى بجائزة ، ثم فهمت أنه يتكلم عن ضحية حقيقية .

ــ « سوف تدق الباب وتطلب منك أن تساعدها فى إصلاح سيارتها . كانت تحاول أن تصل للمدينة بطريق مختصرة .. الآن السيارة فى المستنقع وإحد إطاراتها يحتاج للتغيير .. »

من المضحك أن تسمع إينوخ يتكلم عن الإطارات . لكنه يعرف كل شىء .

ــ « سوف تذهب لتساعدها .. لا تأخذ معك شيئًا فلديها رافعة فى السيارة .. »

حاولت أن أقاومه ورحت أردد :

ــ « لن أفعل .. لن أفعل .. »

لكنه ضحك وقال إنه سيفعل ذلك لو رفضت أنا . وقال :

ــ « من الخير أن أفعل ذلك بدلاً منك ... أم سوف ... .. »

صرخت :

ــ « لا .. سوف أفعل ذلك !.. »

همس إينوخ :

ــ « على كل حال لا حيلة لى فى ذلــك .. يجب أن أفعله كى أظل حيًا وأظل قويًا وأمنحك ما تريد .. لهذا يجب أن تطيع .. لو لم تفعل .. »

ــ « لا .. سأفعل !.. »

وكذا فعلت ..

قرعتْ بابى بعد دقائق وكان الأمر كما همس به إينوخ . كانت فتاة جميلة شقراء ، وقد شعرت بسرور عندما ذهبت للمستنقع معها . لم أؤذ شعرها الجميل وإنما هويت على مؤخرة عنقها بالرافعة .

أخبرنى إينوخ بما يجب عمله خطوة بخطوة .

بعد هذا باستعمال الفأس دفنتها فى الرمال المتحركة وكان إينوخ معى ، وقد نصحنى بأن أخفى آثار الأقدام ففعلت .

كان أمر السيارة يقلقنى لكنه علمنى كيف أستعمل طرف جذع خشب متعفن لأدفعها . بالفعل غاصت بالكامل وبأسرع مما توقعت .



لما غاصت السيارة تخلصت من الرافعة خلفها ثم أمرنى إينوخ بالعودة للبيت ، وكنت قد بدأت أشعر بذلك الشعور الحالم من جديد .

لقد وعدنى بمتعة خاصة هذه المرة لذا غصت فى النوم . بينما تركنى إينوخ وتوغل فى المستنقع ليظفر بجائزته .

لا أذكر كم من الوقت نمت ، لكنه وقـت طويل حتمًا . فى النهاية صحوت مدركًا أن إينوخ قد عاد وشاعرًا أن شيئًا ما خطأ .

هناك طرقات على الباب .

انتظرت لحظات حتى يهمس لى إينوخ بما يجب عمله . لكنه كان نائمًا . دائمًا ما ينام بعد هذه المواقف فلايوقظه شىء لأيام . وفى هذا الوقت أكون حرًّا . هذه الحرية تعجبنى لكن الآن أنا بحاجة له .

تزايدت القرعات فنهضت لأجيب .

دخل المأمور العجوز شيلبى من الباب وقال لى :

ـ « هلم يا سيث .. سوف آخذك للسجن .. »

لم أتكلم .. كانت عيناه الصغيرتان كالخرز تفحصان كل شىء فى الكوخ . ثم نظر لى فوددت لو أتوارى .. شعرت بذعر رهيب .

بالطبع لا يرى إينوخ .. لا أحد يمكنه ذلك . لكن إينوخ كان هناك فقد شعرت به على قمة جمجمتى . تحت الشعر .. ينام فى سلام كطفل .

قال المأمور :

ـ « أهل إميلى روبنز قالوا إنها كانت تنوى عبور المستنقع . تتبعنا آثار العجلات حتى الرمال المتحركة .. »

لقد نسى إينوخ آثار الإطارات فماذا اقول ؟

ـ « كل شىء تقوله قد يتخذ ضدك .. تعال يا سيث .. »

ذهبت معه فلم يكن هناك ما أستطيع عمله . ذهبنا للمدينة حيث أحاط بنا المتسكعون ، وكانت هناك نسوة وسط الزحام يطالبن الرجال بأن ينالوا منى .

لكن الشريف أبعدهم وألقى بى سليمًا فى مؤخرة السجن بين زنزانتين فارغتين . هكذا كنت وحدى . وحـدى ما عـدا إينوخ الذى ظل نائمًا .

كان الوقت مبكرًا فى الصباح وقد انصرف الشريف مع بعض الرجال . غالبًا ينوى البحث عـن الجثة فى الرمال المتحركة . لم يوجه أية أسئلة وهذا أثار دهشتى .

كان تشارلى بوتر على العكس يريد أن يعرف كل شىء .. لقد كلفه المأمور بحراسة السجن فجلب لى إفطارًا ثم ظل جوارى يريد أن يسأل أسئلة كثيرة .

ظللت صامتًا .. ليس من الحكمة أن تكلم أحمق مثل تشارلى بوتر . كان يحسبنى مجنونًا . أغلب الناس كانوا يعتقدوننى مجنونًا بسبب أمى وحياتى وحيدًا فى المستنقع .

حتى لو حكيت له عن إينوخ فلن يصدق حرفًا .

لذا لم اتكلم ..

أصغيت ..

حكى لى تشارلى بوتر قصة البحث عن إميلى روبنسون وكيف كان المأمور يحقق فى سلسلة أخرى من حوادث الاختفاء . قال إنه ستكون هناك محاكمة كبرى وسوف يأتى المدعى العام وقد بعثوا فى طلب طبيب يفحصنى .

جاء الطبيب بمجرد أن أنهيت الإفطار . أدخله تشارلى وكان عليه أن يعمل بسرعة لمنع الرعاع من الدخول معه . كانوا يريدون شنقى بلا محاكمة . جاء الطبيب وهو رجل صغير الحجم له لحية مضحكة جلس أمام الزنزانة ليتكلم معى .

كان اسمه د. سيلفرسميث .

حتى هذه اللحظة لم أكن أشعر بشيء .. لقد حدث كل شىء بسرعة فلم أجد وقتًا للتفكير . كأنه جـزء مــن حلم .. لكن مرأى د. سيلفرسميث غير الأمور ..

كان حقيقيًا .. وكان أول شىء سألنى عنه هو ماذا حدث لأمى .

كان يعرف عنى الكثير ، وهذا جعل الكلام أسهل .

هكذا وجدتنى أحكى له أشياء عديدة . كيف عشت وأمى فى الكوخ . وكيف كانت تصنع مشروبات سحرية ، وكيف كنت أنا وهى نجمع الأعشاب ليلاً .. كيف كانت تخرج وحدها فى بعض الليالى وكيف كنت أسمع أصواتًا غريبة .. كانوا يطلقون عليها الساحرة ..

كان كذلك يعرف كيف ماتت عندما جاء سانتو دينوريلى لبيتنا وطعنها لأنها قدمت لابنته جرعة سحرية جعلتها تفر مع شاب . كان يعرف أننى أعيش هنا وحدى .

لكنه لم يعرف من هو إينوخ .

كـــان إينوخ فـــوق رأسى طيلة الوقـــت [illegible] . لا يعـــرف أو لا يبالى بما يدور .

كنت أكلم د . سيلفرسميث عن إينوخ . أردت أن أشرح له أنه القاتل الحقيقى وكيف أجرت أمى الصفقة فى الغابة . كنت فى الثانية عشرة ولم تسمح لى بالذهاب معها لكنها أخذت بعضًا من دمى فى زجاجة .

عندما عادت كان إينوخ معها . لقد صار ملكى للأبد وسوف يساعدنى فى كل شىء . لهذا لم أستطع عمل شىء لنفسى لأنه منذ ماتت أمى صار إينوخ يهدينى .

لقـد حمانى إينوخ كل هـذه السنين . اعترفت بهذا لدكتور سلفرسميث لأننى شعرت بأنه رجل حكيم يفهمنى .

كنت مخطئًا ..

عرفت هـذا فجـأة ، لأنه بينمـا د. سلفرسميث يصغى لى ويتحسس لحيته ويقول : نعم .. نعم ، شعرت بعينيه تفحصاننى . عينين سافلتين .. عينين لا تثقان بك .

ثم بدأ يسألنى عن كل شىء .. عن إينوخ برغم أننى أدركت أنه يتظاهر بالتصديق . سألنى كيف أسمع إينوخ ما دمت لا أراه . سألنى عما شعرت به لدى قتل إميلى روبنز لكنى لم أفكر حتى فى هذا السؤال . تكلم معى كأننى .. كأننى مجنون!

كان يخدعنى طيلة الوقت . سألنى عن عدد الذين قتلتهم ثم أراد أن يعرف أين رءوسهم . لكنه لم يستطع خداعى أكثر . لذا لذت بالصمت .

بعد قليل استسلم وابتعد وهو يهز رأسه . ضحكت لأنه لم يجد ما يبحث عنه . كان يريد معرفة كل أسرارى . ونمت حتى ما بعد الظهر .

عندما صحوت من النوم كان رجل جديد يقف أمام الزنزانة . رجل له وجه ضخم سمين باسم ، وقال :

ــ « أهلاً سيث .. هل تنعم بتعسيلة ؟.. »

تحسست أعلى رأسى فلم أشعر بإينوخ . عرفت أنه ما زال هناك وما زال نائمًا .

قال الرجل :

ــ « لا تخف .. لن أؤذيك .. »

ــ « هل أرسلك الطبيب؟ .. »

ضحك الرجل وقال :



ـ « بالطبع لا .. اسمى كاسيدى .. إدوين كاسيدى .. أنا المدعى العام ومسئول عنك .. هل لى بالدخول ؟.. »

ـ « أنا محبوس هنا .. »

ـ « لقد حصلت على المفاتيح من الشريف .. »

فتح الزنزانة وتقدم ليجلس أمامى . فسألته :

ـ « ألست مذعورًا ؟.. من المفروض أننى قاتل .. »

ضحك وقال :

ـ « أنا أعرف أنك لم ترد قتل أى واحد .. »

وضع يده على كتفى فلم أتزحزح . كان هناك خاتم ماسى يتألق فى الشمس . وسألنى :

ـ « كيف حال إينوخ ؟.. »

فوثبت ..

ـ « لا تقلق .. الطبيب الأحمق أخبرنى عنــدما قابلته . هو لا يعرف من هو إينوخ بينما أنا وأنت نعرف .. »

ـ « يحسبنى مجنونًا .. »

ـ « حسن .. بينى وبينك .. الأمر صعب التصديق لكننى جئت من المستنقع . المأمور ورجاله يعملون هنــاك . وجدوا جثة إميلى روبنز منذ قليل .. هناك جثة رجل بدين وطفل وهندى .. لقد حافظت الرمال المتحركة عليهم .. »

كانت عيناه تبتسمان ، وقدرت أننى أستطيع الثقة بهذا الرجل .

ـ « سيجدون المزيد .. أليس كذلك يا سيث ؟.. »

هززت رأسى .

ـ « لقد رأيت ما يكفى لأفهم أنك تقول الحقيقة . لابد أن إينوخ جعلك تفعل هذا .. »

اعتصر كتفى وقال :

ـ « هكذا ترى أننا نفهم بعضنا .. لن ألومك على أى شىء تقوله .. »

ـ « ماذا تريد ؟.. »

ـ « أنا مهتم بإينوخ .. فكم مرة طلب منك القتل ؟.. »

ـ « تسع مرات .. »

ـ « وكلهم مدفونون فى الرمال المتحركة ؟.. »

ــ « نعم .. »

ــ « تعرف أسماءهم ؟.. »

ــ « القليل منها .. إينوخ كان يحدد لى صفات الشخص أحيانًا فلا أعرف اسمه .. »

أشعل سيجارًا فقطبت وقلت له :

ــ « لا سيجار من فضلك .. أمى لم تكن تؤمن بالسجائر .. ولم تسمح لى قط .. »

ضحك بصوت عال وأبعد السيجار . وقال :

ــ « أنت تستطيع أن تقــدم لى الكثير من العــون .. تعرف ما يجب على المدعى العام عمله .. »

ــ « إنه نوع من المحامين .. أليس كذلك ؟.. »

ــ « بلى .. سأكون فى محاكمتك . أنت لا تريد أن تقف أمام كل هؤلاء الناس وتحكى ما حدث .. أليس كذلك ؟.. »

ــ « نعم يا سيدى .. ليس أمام هؤلاء المنحطين الذين يكرهوننى .. »

ــ « إذن قل لى كل شىء ولسوف أتكلم بدلاً منك .. هذا دليل على الصداقة .. »

نظرت له واتخذت قرارى :

ــ « ليكن .. سوف أخبرك .. »

حكيت له كل شىء كما عرفته . كف عن الضحك وراح يصغى . ثم قال لى :

ــ « هناك شىء .. وجدنا بعض الأجساد فى المستنقع .. لكن سيكون من الأسهل لو أخبرتنى شيئًا آخر يا سيث ؟.. أين ذهبت الرءوس ؟.. »

وقفت قائلاً :

ــ « لن أخبرك بهذا .. لأننى لا أعرف .. »

ــ « لا تعرف ؟.. »

ــ « أعطيتها لــ (إينوخ) . لهذا أقتل الناس .. لأنه يريد الرءوس .. »

بدت عليه الحيرة .



ـ « إنه يجعلنى أقطع الرءوس وأتركها .. يكافئنى ثم يجعلنى أنام ويعود للرءوس .. »

جلس مستر كاسيدى وتنهد وقال :

ـ « ولماذا تترك إينوخ يفعل هذا ؟.. »

ـ « لابد أن أفعل هذا وإلا فعله بى .. يجب أن يظفر بها .. »

كان مستر كاسيدى يصغى لى وأنا أمشى فى الزنزانة ، وبدا لى عصبيًا جدًا فجأة ..

قلت :

ـ « سوف تشرح هذا كله فى المحكمة .. موضوع إينوخ هذا .. »

قال لى :

ـ « لن تحكى عن إينوخ فى المحاكمة وكذلك أنا .. لن يعرف أحد أن إينوخ موجود . لو قصصت على الناس قصة إينوخ فلسوف يقولون إنك مجنون .. »(*)

ثم فكر وقــال :

(*) طبعًا المدعى العام مهمته أن يدان سيث ويعدم . هنا يحاول المدعى العام بخبث أن يخفى قصة أينوخ حتى لا يفلت سيث من عقوبة الإعدام باعتباره مجنونًا . وسيث لا يعرف هذا ويحسب الرجل يحاول مساعدته .

ـ « أنت خائف من إينوخ .. فماذا لو أعطيته لى ؟؟؟ أنا أفكر بصوت عال فقط .. »

غصصت بصوت عال فقال :

ـ « افترض أنك أعطيته لى الآن ؟.. سوف أعنى به أثناء المحاكمة ولن يصير ملكك ، ولن يكون عليك أن تتكلم عنه . أعتقد أنه لا يريد أن يعرف الناس شيئًا عنه .. »

قلت :

ـ « معك حق .. سوف يغضب جدًا فهو سر .. لكن أكره أن أعطيه من دون سؤال فهو غاف الآن .. »

ـ « نعم .. فى قمة جمجمتى .. أنت لا تراه .. »

نظر لرأسى ثم ضحك من جديد . فقلت :

ـ « عدنى أن تعنى به .. »

ـ « بالتأكيد .. »

ـ « ولن تخبر أحدًا ؟.. »

ـ « بالتأكيد .. »

ـ « تعرف طبعًا ما سيحدث لو رفضت أن تعطيه ما يريد .. سيأخذه بالقوة .. »

هنا شعرت بشىء يتحرك جوار أذنى . فهمست :

ـ « إينوخ .. هل تسمعنى ؟.. »

سمعنى ..

شرحت له أننى سأعطيه لمستر كاسيدى فلم يتكلم .

جلس مستر كاسيدى يراقبنى بلا كلام ، مكتفيًا بالابتسام . لابد أن منظرى غريب وأنا أكلم لا أحد .

ـ « اذهب لمستر كاسيدى .. اذهب له الآن .. »

فعل كما قلت . وشعرت بثقل ينزاح عن رأسى .

ـ « هل تشعر به يا مستر كاسيدى ؟.. »

قال :

ـ « ماذا ؟.. طبعًا .. »

ـ « اعتن به .. »

ـ « بالتأكيد .. »

ـ « ولا تعتمر قبعتك .. إينوخ لا يحب القبعات .. »

ـ « نسيت .. والآن يا سيث أقول لك الوداع .. لقد عاونتنى كثيرًا ومن الآن يمكنك نسيان إينوخ فى محادثاتك مع أى شخص . سوف أعود لنناقش المحاكمة .. هذا الدكتور سيلفرسميث سيحاول إقناع الناس إنك مجنون . يجب أن تنكر كل ما قلته له .. لقد صار إينوخ معى .. »

كانت فكرة طيبة ، لكنى كنت أعرف أن مستر كاسيدى ذكى .

ـ « كما تريد يا مستر كاسيدى .. فقط كن طيبًا مع إينوخ ليكون طيبًا معك .. »

هز رأسه ثم رحل مع إينوخ . شعرت بالإرهاق ربما بسبب التوتر . ربما الشعور بالغربة بعد رحيل إينوخ . على كل حال نمت فترة طويلة جدًا .

فى المســاء صحوت . كان تشارلى بوتر يدق باب الزنزانة جالبًا لى العشاء .

لما نهضت تراجع وصرخ :

ــ « قاتل !.. لقد وجدوا تسع جثث فى المستنقع .. أيها الشيطان المجنون . سوف أرحل الآن .. سأتركك سجينًا الليلة . المأمور يريد التأكد من أنهم لن يشنقوك دون محاكمة ورأيى أنهم يضيعون وقتهم .. »

ثم أطفأ الأنوار كلهــا ورحل . ســمعت الباب الأمامى يغلق وصرت وحيدًا فى السجن كله .

وحدى !.. للمرة الأولى منذ أعوام .. من دون إينوخ .

كان القمر يسطع عبر النافذة فوقفت أرمق الشارع الخالى . كان إينوخ يحب القمر فهو يجعله جشعًا قلقًا . كيف يشعر الآن مع مستر كاسيدى ؟

لابد أننى وقفت طويلاً حتى سمعت صوت العبث بالباب .

انفتح الباب وجاء مستر كاسيدى . وصرخ :

ــ « خذه بعيدًا !.. ابعده عنى !.. »

ــ « ما الخطب ؟.. »

ــ « إينوخ .. هذا الشىء خاصتك .. حسبتك مجنونًا .. والآن أريد أن تأخذه !.. إنه يزحف الآن .. أشعر به .. أسمعه .. أسمع ما يهمس به !.. »

ــ « لكنى شرحت لك كل هذا يا مستر كاسيدى .. إينوخ يريد شيئًا ما . أنت وعدت بأن تجلبه له .. »

ــ « لن أقتل من أجله .. لن يجعلنى .... »

ــ « يستطيع .. وسيفعل !.. »

أمسك بقضبان الزنزانة وهتف :

ــ « سيث .. يجب أن تساعدنى .. أطلب إينوخ واسترده .. بسرعة .. »

ــ « كما تريد يا سيدى .. »

ناديت إينوخ فلم يرد .. جربت ثانية .. صمت ..

بدأ كاسيدى يبكى . شعرت من أجله بأسف .. أعرف ما يحدثه إينوخ بأعصابك عندما يهمس بهذه الطريقة

— « عليك أن تطيعه .. هل قال لك من ستقتله ؟.. »

لم يعرنى انتباهًا . فقط بكى ثم أخرج مفتاح الزنزانة وفتح الزنزانة المجاورة لى وأغلق الباب . وقال باكيًا :

— « لن أفعل .. لن أفعل .. »

— « لن تفعل ماذا ؟.. »

— « لن أقتل دكتور سيلفرسميث فى الفندق وأعطى رأسه لإينوخ . سأبقى فى هذه الزنزانة حيث الأمان .. »

وجلس مغطيًا رأسه بيديه . فصحت :

— « بل يجب أن تفعل يا سيدى وإلا فعل إينوخ شيئًا .. عليك أن تسرع .. »

أعتقد أنه فقد الوعى لأنه كف عن الأنين ، وناديته فلم يجب .

ماذا أفعل ؟ جلست فى ركن زنزانتى أرمق القمــر . ضوء القمر يجعل إينوخ يتوحش .

عاد مستر كاسيدى يصرخ . بصوت خفيض من الحلق .. عرفت أن إينوخ يأخذ ما يريد منه .

ماجدوى النظر ؟.. لن يوقف ما يحدث وأنا قد أنذرته .

جلست وسددت أذنى إلى أن انتهى الأمر .

عندما رفعت عينى كان مستركاسيدى ما زال حيث هو ، لكن كان هناك كذلك صوت خرخرة .. خرخرة قصية ناعمة .. خرخرة إينوخ بعد ما أكل وشبع . وسمعت خربشة مخالبه ..

كانت الأصوات آتية من داخل جمجمة مستر كاسيدى .

إينوخ سعيد الآن .

مددت يدى عبر القضبان والتقطت المفاتيح من جيب مستر كاسيدى . فتحت زنزانتى فتحررت ثانية . لم يعد من داع للبقاء بعد رحيل مستر كاسيدى . إينوخ كذلك لم يعد بحاجة للبقاء .

— « هنا يا إينوخ !.. »

كانت هذه أقرب مرة أرى فيها إينوخ . رأيته كدخان أبيض يخرج من الثقب الذى التهمه فى مؤخرة رأس مستر كاسدى .

شعرت بالثقل الخفيف يهبط على رأسى ، فعرفت أن إينوخ عاد لى .

مشيت عبر الردهة وفتحت باب السجن .

ومن جديد راحت قدما إينوخ تمشيان فوق مخى .

مشينا معًا فى الليل . القمر يسطع وكل شىء ساكن . أسمع بنعومة ضحكة إينوخ المرحة فى أذنى .

بعلزبول (*)

(*) من الشياطين .. معنى الاسم هــو (ســيد الذبوب) أو (إله الذباب) وهو اسم مناسب للقصة جدًا .

كان هوارد نصف نائم عندما سمع الأزيز . كان صوتًا خافتًا مستمرًا يتوازن على حافة الوعى بلطف . وللحظة لم يعرف إن كان الصوت آتيًا من الجانب المتيقظ أم الجانب النائم فى وعيه .

يعلم الله أنه سمع الكثير من الأصوات أثناء نومه مؤخرًا ، وكانت أنيتا تشكو من استيقاظه ليلاً ليصرخ من أعماق رئتيه . لكن كانت لديه أسباب للتوتر .

ازداد الأزيز عمقًا وعرف هوارد أنه متيقظ الآن . كان يشعر ببلادة أطرافه والعرق البارد المحتشد عليها . .

* * *

فتح هوارد عينيه ..

كانت الغرفة مظلمة لكن شمس كاليفورنيا كانت تنفذ عبر ستائر النافذة . ما يكفى لتحويل البيت إلى فرن توهج بالنار . وكان يكفى ليرى هوارد ما لم يرد أن يراه ..

غرفة المعيشة مليئة بفوضى من الثياب والأثاث ، والمطبخ مليء بأطباق متسخة فى الحوض ، والآلة الكاتبة المحمولة اللعينة ومفاتيحها التى لم تمس تبرز كأسنان متربة .

صفوف من أسنان متربة .. يا لك من كاتب يا رجل ! خاصة عندما تنام .

لكنه لم يكن نائمًا .. كان يسمع الأزيز أعلى فأعلى .. ذبابة لعينة فكيف دخلت والنوافذ مغلقة ؟.. أنيتا تهوى غلق النوافذ مهما كان الطقس حارًا .. خاصة عندما تلف شعرها لتعقصه .. وقد كانت تلف شعرها دائمًا .

* * *

جلس هوارد .. كانت الضوضاء عالية فلا يمكن أن تأتى من المطبخ . لابد أنها هنا فى الغرفة . تسلل شعاع شمس على عنق أنيتا والتمعت الدبابيس التى تلف عليها شعرها .

هنا كانت الذبابة .. فى البدء حسبها شامة لكن الشامات لا تتحرك . الشامات لا تئز .

ذبابة فعلاً .. نظر لأنيتا وفكر كم يكره الشىء .. إنه صاخب يمزق أعصابك يطالبك بالاهتمام .. يقتحم خصوصيتك .. مخلوق قذر يحمل القذارة .

تراجعت يده ثم تقدمت.. يريد أن يضربها . فقط يقتلها لأنها يجب أن تدمر .

لم يدرك مـدى قـوة الضربة .. لم يدرك ذلك حتى انفجرت صرخة أنيتا .

ــ « أيها الوغد !.. »

وجلست تضربه بيدها .. ليس مرة بل مرارًا .. وهى تصرخ أعلى فأعلى :

ــ « أنت تحاول قتلى أثناء نومى .. »

كانت مجنونة .. كان يريد أن يفسر لها . لم يرد سوى أن يضرب الذبابة لكنها لا تصغى . لا تصغى أبدًا عندما يتملكها الغضب الهستيرى . كانت تبكى وتتعثر فى الحمام .. بالطبع .. لا داعى لتكرار ذات المشهد والقرع على الزجاج والاعتذار . كل ما بوسعه أن يجد ثيابه ويلبسها . لقد مرت الساعة التاسعة بالفعل وموعده فى العاشرة ..

نسى أمر الذبابة بسبب التعجل . عليه فقط أن يحدد هل سيمضى العشرين دقيقة التالية مع قدح قهوة عند ركن الشارع ، أو يهرع للحلاق لحلاقة سريعة . اختار الحلاقة فمن الأهم أن يبدو أنيقًا .

كان الحظ حليفه فقد دارت السيارة بلا مشاكل . وصل دكان الحلاق ووجد مقعدًا خاليًا . لماذا يجب على كل حلاق فى هذه

المدينة أن يرفع صوت المذياع إلى أعلاه ، ويشوه الجدران بصور باهتة لممثليـن منسيين ؟ ولمـاذا لا يجعل الحلاقون محلاتهم نظيفة ؟

وجد نفسه يلقى بالمنشفة جانبًا قبل أن ينهى الحلاق دهان ذقنه بالكريم . وصاح :

ــ « ما بالكم يا جدعان ؟.. ألا تستطيعون إبقاء الذباب اللعين بعيدًا ؟.. »

لم يكن ينوى أن ينفجر كهذا .. كانت هناك ذبابة واحدة فقط تحلق قرب السقف . لكنه لم يفـكر فى الأمر إلا بعـد ما غادر الدكان ووقع الأذى . كيف نظر له هذا الحلاق ....

على كل حال هو لن يعود لهم ثانية . الحلاقون كثيرون ...

لكن ليس المنتجين ....

ليس هناك الكثير منهم ممن يرغبون فى التعاقد معه .

اندفع ليعبر بوابة الستوديو ورسـم ابتسامة عريضة على شفتيه للحارس ، ثم رأى مس روجرز سكرتيرة شركة إنتاج (تريبور) . أبقى أكبر ابتسامة من أجل مستر تريبور نفسه .

فى البداية انتظر نصف ساعة فى المكتب الخارجى . كل هؤلاء المنتجين متشابهون . يحددون لك موعدًا ثم يؤجلونه . يضغطون عليك :

ـ « كم من الوقت يلزمك للانتهاء ؟ صباح غد ؟.. ممتاز .. العاشرة صباحًا فى مكتبى .. سوف أترك لك تصريحًا عند البوابة .. »

تظهر فى العاشرة بالضبط ومعك الأوراق ، وقد رسمت ابتسامة عريضة تحاول ألا تمزق شفتيك على الجانبين . لكنك هنا جالس كأحمق ملعون وتحاول ألا تنظر للسكرتيرة التى تجرى اتصالات من أجل الأشخاص الذين كان يجب أن تكون معهم الآن .

سمح له بدخول قدس الأقداس فى العاشرة والنصف . وجلس بالداخل ست دقائق .

بعد ثلاث دقائق كان واقفًا أمام كابينة هاتف يحاول الاتصال بـ د. بلانشارد بإصبع يرتجف . ولاحظ الذبابة التى تحوم حوله داخل الكابينة :

ـ « إنها تقتفى أثرى !.. »

وصرخ فى السماعة :

ـ « الشىء اللعين مصر على أن يتبعنى .. »

سأله د. بلانشارد بينما غاص هوارد فى المقعد الجلدى الضخم :

ـ « هل تريد الكلام عن هذا ؟.. »

مرت عشرون دقيقة لكنه لم يكن هادئًا .. أراد أن يتكلم .

لهذا طلب بلانشارد برغم أن هذا ليس موعده . أراد أن يجلس فى هذا المكان اللطيف الصامت حيث لا أحد يضغط عليك .

لم يكن المكان كمكتب (جو تريبور) . كان يحكى للطبيب عن الصور على الجدران والمكتب العملاق والمقعد العالى خلفه ، والمقعد الضئيل أمامه .. المقعد المخصص لك أنت . بهذا ينظر لك المنتج من أعلى وتنظر أنت لأعلى لتراه . تنظر للهاتف الذى تخرج منه ستة خطوط لتخبرك كم أن هذا الرجل مشغول . ترى صورة زوجته وأولاده لتعرف كم هو مواطن محترم . ترى الدورق الفضى الذى يخبرك كم هو ثرى .

كان ينظر لك بانتظار أن تخبره بالحبكة القصصية . أخرجت المذكرات من الحقيبة وبدأت تقرأ مدركًا أنك تضيع وقتك ، مع رجل لا يكف عن التعليقات والتعديلات السخيفة . ممتع ممتاز جدًا .

ثم الأزيز .. الأزيز ... .

وأنت تحاول أن تقنعه .. تحاول أن تبيع له .. لكن الأزيز يضيع صوتك . رأيت الذبابة تقف على إبريق الفضة الموضوع على المكتب . تحك قائمتيها معًا فلو وضعتهما تحت مجهر لأدركت أنهما مليئتان بالقذارة .

هنا تنظر لجو تريبور الذى يبتسم ويهز رأسه قائلاً :

ـ « آسف .. لكنى أرى أنك لم تصل لخط القصة بعد .. »

ويحك يديه معًا .. مغطيتين بالقذارة .. لقد مشى فى القذارة وتغطى بها .. بأى حق يترك الذباب فى مكتبه ويضايقك وأنت تحكى قصتك ؟.. قصتك التى أنهكك التفكير فيها أسابيع فى شقتك الحارة ذات الغرفة الواحدة .

إنه ينهض ويقول لك شيئًا لا تسمعه جيدًا بسبب صوت الأزيز . لذا تبتسم وتبقى شفتيك ملتصقتين ، ولا تعترف لنفسك بأن الأمر فسد . ثم تخرج وتتصل بالدكتور وهأنتذا ..

الذبابة .. نفس الذبابة .. ال شىء الأسودَ ذو المليون عين نرى كل شىء .

كان هوارد يعرف أن د. بلانشارد يفهم لأنه كان يهز رأسه بلا توقف . لا يوجد شىء خطأ فى عينيــه . ليستا كعينى أنيتا ولا الحلاق أو تريبور .. كلها عيون متهمــة . د. بلانشارد فعلاً يفهم .

الآن يسأل هوارد عن كل شىء ، ومتى ظهرت الذبابة ، ومنذ متى يشعر بالذباب . كان يعرف أن الكلام عن هذا يجعل هوارد عصبيًا نوعًا لأنه كان يقول :

ـ « لا تقلق .. لا ذباب هنا .. قل ما يدور بذهنك ولن يقاطعك الأزيز ...... »

ززززززززززززززززززززززز ..

الأزيز .. إنه فى الغرفة . سمعه هوارد ولم يعد يسمع الطبيب لأن الأزيز عــال . لم يسمع صراخه الخــاص لكنــه كان يقول للطبيب :

ـ « أنت مخطئ .. لقد اقتفت أثرى .. ألا ترى ؟.. »

لكن د. بلانشارد لم ير .. كيف يرى والذبابة السوداء قد استقرت هناك فوق رأسه الصلعاء ؟

راحت تنز .. وتعالى الصوت عبر جمجمته .. كان عليه أن يجـرى . أن يبتعد .. لا أحـد يصدقه .. حتى الطبيب لا يصدقه الآن ..

لم يكف هوارد عن الركض حتى بلغ السيارة . كان يلهث والعرق يغمره . يشعر بقلبه يدق . يجب أن يهدأ .. عليه أن يهدأ .. فلا أحد يمكن الاعتماد عليه .

أولاً يجب أن يتفحص السيارة جيدًا بما فيها المقعد الخلفى . ثم يغلق الأبواب ويرفع النوافذ . الحر شديد بالداخل لكن يمكنه تحمل الحر .. كل شىء إلا الأزيز .

أدار المحرك .. اهدأ .. اهدأ ..

اتجه للحارة اليسرى فى الطريق ثم اسرع .. كلما قدت أسرع كلما ابتعدت عن الأزيز .. فلتكن سرعتك سبعين ميلاً .. الذبابة لا تطير بسرعة سبعين ..

لو كانت الذبابة حقيقية ...

وأخذ نفسًا عميقًا ..

ربما كان الجميع محقين وهو على خطأ ؟.. ربما لا توجد ذبابة إلا فى خياله ؟.. مستحيل أن يكون هذا بفعل خياله .. خياله هو الجزء الذى يجب أن يدافع عنه الكاتب .

لا يجب أن تسمح لذبابة بأن تدخل خيالك .. المكان المقدس الذى فيه كل توازنك العقلى . لو كان الأمر كذلك فلا مفر .. لا يمكنك أن تقود بسرعة كافية أو بعيدًا بما يكفى للفرار .

لا أمل على الإطلاق ..

* * *

كانت هناك فى السيارة .. على الأقل سمعها . لكن ربما كان الصوت قادمًا من جمجته ..

الآن رآها على الزجاج أمامه تحت مرآة الرؤية الخلفية . هل رآها حقًا أم هو يرى ما يدور داخل عقله ؟ كيف توجد هنا ذبابة حقيقية مع إغلاق كل النوافذ ؟

لكنه رآها وسمعها وقد أزت وهى تزحف . تسارع نبضه . إنها حقيقية بلا شك .. بالتأكيد حقيقية .. ولو كانت حقيقية فهذه فرصته الوحيدة وهى داخل السيارة عاجزة عن الفرار .

رفع قدمه عن دواسة البنزين وضغط على الفرامل . كان يقود نازلاً منحدرًا لكن السيارة كانت تحت السيطرة . كل شىء تحت السيطرة وليس عليه سوى ضرب الذبابة .

الآن توقفت عن الزحف بحيث صارت أمام ناظريه بالضبط .

يراها بوضوح وجلاء ..

وقد راح يضحك من خيالاته السخيفة . من السخيف أن تفكر فى استحواذ شيطانى على كائن هش كهذا . يرى أوردة أجنحتها بوضوح . وللحظات نظـر فى عينيهـا حيث المرايا التى تعكس ملايين الأسرار .

هنا عرف الحقيقة ..

لكـن يـده كانـت قـد انقضت عليها بالفعل .. وكـل ما قدر عليـه هـو أن يصرخ بينمـا السـيارة تترنـح ، وتبـدى له الجـدار ...

عندما جاءت سيارة الدورية كانت الذبابة ترقد مستريحة فوق كرة عينه .

كان رجل الشرطة الريفى ينحنى فوق الجسد ، فراقبت الذبابة الحزن والغضب المكبوت والتوتر خلف الوجه البليد . ثم حلقت حول كتفى رجل الشرطة .. وإذ استدار مبتعدًا طارت خلفه .

قال الشرطى لنفسه :

ـ « الشيطان المسكين .. »

كان ما صدمته السيارة هو بالطبع شاهد قبر .

أبقت لوسى صوتها خفيضًا لأنها تعرف أن غرفة الممرضة قريبة من غرفتى فى الردهة ، ولم يكن يفترض أن أرى أية زوار .

ـ « لكن جورج يفعل كل ما بوسعه . المسكين !.. يحزننى التفكير كم يكلفه كل هؤلاء الأطباء والمختصين . وفاتورة المصحة كذلك .. والآن تبقى معنا هذه الممرضة مس هيجنز كل يوم .. »

ـ « لن يفيدك هذا .. تعرفين ذلك .. »

لا يبدو أن لوسى تجادل ، فهى تعرف . لأن لوسى أذكى منى .. لوسى ما كانت لتغرق فى الشراب وتحدث هذه الفوضى . لذا رحت أصغى لما تقول .

قالت مغمغمة :

ـ « اسمعى يا (فى) .. أكره أن أقول هذا لكنك لست على ما يرام .. من الأفضل أن تعرفى هذا منى بدلاً من سماعه من شخص آخر .. »

ـ « ما هو يا لوسى ؟.. »



ـ « موضوع جورج والأطباء .. لا يعتقدون أنك ستشفى . لا يريدون أن تشفى .. »

ـ « أوه يا لوسى .. »

ـ « اسمعينى يا حمقاء .. لماذا تحسبينهم أرسلوك للمصحة ؟.. قالوا إن هذا للعناية بك . أنت شفيت لكن لماذا يأتيك هذا الطبيب كل يوم ؟.. وجورج يرغمك على البقاء فى غرفتك ، ومس هجنز المفترض أنها ممرضة مختصة .. أنت تعرفين حقيقتها .. إنها حارسة .. »

لم أجد ما أقول .. جلست هناك ورمشت بعينى . أردت أن أصرخ لكن لم أفعل لأننى فى الأعماق كنت أعرف أنها على حق .

ـ « جربى أن تخرجى من هنا .. لسوف ترين ما أسرع ما تغلق الباب عليك .. كل هذا الكلام عن الوجبات الصحية العلاجية لا يخدعنى . أنظرى لنفسك .. أنت فى حال ممتازة . يجب أن تخرجى من هنا وتزورى أصدقاءك وترى الناس .. »

ذكرتها :

ـ « ليس لى أصدقاء .. ليس بعد الحفل .. ليس بعد ما فعلته .. »

هزت رأسها :

ـ « هذا كذب .. هذا ما يريد جورج أن تعتقديه .. لديك مئات الأصدقاء يا (فى) .. وما زالوا يحبونك . حاولوا أن يزوروك لكن جورج منعهم .. أرسلوا أزهارًا لكن جورج طلب من الممرضات حرقها .. »

ـ « هل طلب من الممرضات حرق الأزهار حقًا ؟.. »

ـ « طبعًا يا (فى) .. حان وقت مواجهة الحقيقة .. جورج يريد أن يقتنع الجميع أنك مريضة . لماذا ؟.. لأنه بهذا يتخلص منك ليس فى مصحة بل فى .... »

بدأت أرتجف :

ـ « لا !!!.. »

هذا مخيف .. لقد قال الأطباء إننى لو أخذت العلاج فلن أرتجف . لكننى ما زلت أرتجف ..

همست لوسى :

ـ « هل أقول المزيد ؟.. هل تعرفين ما يدسون فى طعامك ؟.. هل أخبرك ؟.. »

صرخت :

ـ « توقفى !.. »



ــ « ليكن .. لكن لا تصرخى يا حمقاء . هل تريدين أن تأتى مس هيجنز ؟.. »

ــ « تحسبنى نائمة فقد أعطتنى منومًا .. »

قالت مقطبة :

ــ « من حسن الحظ إننى تخلصت منه .. يجب أن أخرجك من هذا يا (فى) فلم يعد وقت كاف .. »

معها حق .. لم يعد هناك وقت كاف .. ثم كم من الوقت مضى دون أن أظفر بشراب ؟

قالت لوسى :

ــ « سوف نفر .. سوف نستأجر غرفة لا يجدوننا فيها ، ولسوف أمرضك حتى تشفى .. »

ــ « لكن الغرف تكلف مالاً .. »

ــ « معك خمسون دولارًا أخذتها من جورج ثمن الفستان .. »

ــ « لكن .. كيف عرفت هذا يا لوسى ؟.. »

ــ « قلت لى هذا منذ دهور أيتها البائسة .. أنت لا تتذكرين شيئًا وهو سبب أقوى يدعوك للثقة بى .. »

يمكننى أن أثق بلوسى ، برغم أنها مسئولة بشكل ما عن بدئى الشرب من الجديد . كانت تحسب أن هذا سيسعدنى عندما جلب جورج كل أصدقائه من علية القوم للبيت ، وأردنا أن نبهر عملاءه .. أنا أثق بلوسى .

ــ « يمكننا الفرار بمجرد أن ترحل مس هجنز الليلة . ننتظر حتّى ينام جورج . البسى ثيابك الآن ولسوف أعود لك .. »

ارتديت ثيابى ، وهذا ليس سهلاً مع كل هذه الرجفة . قمت بقص شعرى وتجملت . ثم نظرت لنفسى فى المرآة وصحت :

ــ « ليس بوسعك أن تعرفى .. أليس كذلك ؟.. »

قالت لوسى :

ــ « بلى .. أنت تبدين متألقة .. متألقة بالتأكيد .. »

كانت الشمس تتسرب عبر النافذة على المقص ، بحيث آلمت عينى ، وفجأة شعرت بالنعاس .

قالت لوسى :

ــ « سيصل جورج حالاً وترحل مس هيجنز .. يجب أن أرحل فلم لا تستريحين حتّى أعود ؟.. »

وغادرت الغرفة على أطراف أصابع قدميها .

رقدت على الفراش ونمت للمرة الأولى أنام حقًا منذ أسابيع لا شىء يؤلمنى كما يفعل جورج عندما يريد أن يحبسنى فى المصحة كى ينفرد بمس هيجنز ويسخرا منى لكن لوسى سوف تعنى بى فهى تعرف ما يجب عمله وبوسعى أن أثق بها وعندما يعود جورج يجب أن أنام ولن يلومنى أحد لما فكرت فيه أو فعله فى نومى .

كان الأمر على ما يرام حتى بدأت الأحلام وحتى وقتها لم أقلق لأن الحلم هو الحلم . عندما كنت أثمل كنت أرى الكثير من الأحلام .

عندما صحوت عادت الرجفة . كانت لوسى تهزنى واقفة فى الظلام . نظرت حولى فوجدت أن الباب مفتوح لكن لوسى لم تكلف نفسها عناء الهمس .

كانت واقفة والمقص فى يدها :

ــ « تعالى .. لنسرع .. »

ــ « لكن لم المقص ؟.. »

ــ « لقطع خط الهاتف يا سخيفة !.. لقد دخلت المطبخ ووضعت بعض المنوم فى قهوة جورج .. تذكرى الخطة .. »

لم أتذكر لكن عرفت أن كل شىء تمام . عبرنا الردهة جوار غرفة جورج ثم هبطنا فى الدرج نحو الباب ، وآذى ضوء الشارع عينى . لكن لوسى جعلتنى أسرع .

استقللنا سيارة للناصية وكان هذا هو الجزء الصعب . عندما نبتعد لن يوجد داع للقلق فالأسلاك قد قطعت .

وكانت المرأة صاحبة بيت الإيجار لا تعرف شيئًا عنى ولا عن الأسلاك . كانت لوسى قد استأجرت غرفة .

دخلت لوسى فى ثبات ووضعت الخمسين دولارًا على النضد . كان الإيجار 12 دولارًا فى الأسبوع مقدمًا ، ولم تطلب لوسى أن ترى الحجرة . ربما لهذا لم تقلق المرأة بصدد متاعنا .

صعدنا وأغلقنا الباب هنا عادت الرجفة .

قالت لوسى :

ــ « (فى) .. توقفى !.. »

ــ « لا أستطيع السيطرة على نفسى .. لوسى .. لماذا فعلت ذلك ؟.. لماذا .. أنا لا .. »



فتحت حقيبتى وأخرجت شيئًا .. كنت أتساءل لم هى ثقيلة لهذا الحد ، لكنى عرفت السر الآن .

رفعته فى الضوء فتألق كالمقص لكنه كان تألق الذهب ..

شهقت قائلة :

ـ « زجاجة كاملة .. من أين جئت بها؟ .. »

ـ « من الخزانة بالطابق السفلى .. تعرفين أن جورج يحفظ حاجياته هناك . أخفيتها فى الحقيبة على سبيل الاحتياط .. »

فتحت الزجاجة برغم الرجفة فى عشر ثوان . تهشم ظفر من أظفارى وسرعان ما كان السائل بداخلى حارقًا دافئًا ..

قالت لوسى :

ـ « أنت خنزيرة !.. »

همست :

ـ « تعرفين أننى كنت سأشرب .. لهذا جلبتها معك .. »

ـ « لا أحب أن أراك تشربين .. أنا لا أشرب .. »

ـ « أرجوك يا لوسى .. جرعة واحدة فقط .. »

ـ « لن أجلس هنا وأراقبك تكررين السيناريو كما فى كل مرة .. وتحدث الفوضى المعتادة .. »

كانت الزجاجة قد صارت نصف فارغة الآن .

ـ « فعلت ما بوسعى لأجلك يا (فى) .. لكن لو لم تتوقفى سأرحل .. »

ـ « لا يمكنك هذا يا لوسى .. أنا بحاجة لك .. »

ـ « أنت قادرة على السيطرة على نفسك لكنك لا تريدين .. كـان عليك دومًا الاختيـار بين زوجـك جورج والزجاجة . أنا أو الزجاجة . دائمًا تفـوز الزجـاجة .. فى أعماقك أنت تكرهين جورج وتكرهيننى .. »

ـ « أنت أفضل صديقة لى .. »

ـ « مجنونة .. »

كانت أحيانًا تشتم عندما تغتاظ . لقد كانت الآن مغتاظة جدًا وهذا جعلنى عصبية ، فشربت كأسًا أخرى .

بدأت أبكى .. حاولت النهوض لكن الغرفة كانت تدور وتدور . رأيت لوسى تتجه للباب فسقطت الزجاجة ، وتألق الضوء كما كان يتألق على المقص فأغمضت عينى وسقطت جوار الزجاجة .

عندما صحوت كانوا جميعًا يضايقوننى .. صاحبة النزل والطبيب ومس هجنز والرجل الذى قال إنه شرطى .

تساءلت إن كانت لوسى قد خانتنى وأخبرتهم ، لكن الطبيب قال لا . لقد وجدونى نتيجة مسح روتينى للفنادق بعد ما وجدوا جسد جورج فى فراشه ومقصى مغروسًا فى عنقه .

عرفت عندها ما فعلته لوسى ، ولماذا فرت منى . كانت تعرف أنهم سيتهموننى بالقتل .

قلت لهم كل شىء عنها وكيف حدث الأمر .. بل تخيلت كيف وضعت لوسى بصماتى على المقص .

لكن مس هجنز قالت إنها لم تر لوسى قط فى البيت ، وكذبت صاحبة النزل وزعمت أننى استأجرت الغرفة وحدى ، وضحك رجل الشرطة عندما توسلت له أن يجد لوسى .

فقط بدا أن الطبيب يصدقنى وقد سألنى عن شكل لوسى وصفاتها .

احضر المرآة ووضعها أمامى وسألنى إن كنت أراها .. بالطبع ..

كانت تقف خلفى وتضحك . قلت للطبيب هذا فقال إنه يفهم الآن .

حتى عندما ارتجفت يدى وسقطت المرآة فإن الأمور كانت على ما يرام .

لقد عادت لى لوسى ولن ترحل ثانية أبدًا . سوف تبقى معى للأبد .. عرفت هذا .. حتى بعد أن ضحكت منى لأن الضوء آذى عينى ..

بعد دقيقة ضحكت بدورى . سرعان ما رحنا نضحك معًا .. لم نتوقف حتى عندما رحل الطبيب . فقط جلسنا خلف القضبان لوسى أنا .. نضحك كأننا مجنونتان !



فى البدء كان اثنان منهم .. هو وهى .. معًا .. كان هذا هو الوضع عندما ابتاعا المنزل .

ثم جاء .. .

ربما كان هناك منذ البداية ينتظرهم فى البيت . على كل حال هو هنا الآن وما من شىء يمكن عمله .

الانتقال من البيت غير مطروح ، فقد وقعا عقدًا بخمسة أعوام سعيدين لانخفاض الإيجار . من السخف أن تشكو للسمسار ومستحيل أن تخبر الأصدقاء .. لا مكان يذهبان له .. لقد بحثا عن بيت لفترة طويلة .

ثم أنه لم يبال بالتفكير فى وجوده ، لكنه أثبت أنه موجود .

شعرتْ به فى أول ليلة وهى فى الفراش . كانت تجلس أمام المرآة العالية عتيقة الطراز تمشط شعرها ، ولم تكن المرآة قد نظفت من الغبار بعد وبدت متربة . وكان الضوء فوقها يتراقص .

خطر لها أنها لعبة من ألعاب الظل أو عيب فى الزجاج . شعرت بأن الصورة خلفها فى المرآة تخفى الانعكاس بشكل غريب .. ثم بدأت تُشعر بما كانت تطلق عليه (شعور المتزوجة) ؛ وهو ذلك الشعور الغريب الذى يجعلها تدرك أن زوجها دخل الغرفة من قبل أن تراه .

لابد أنه يقف خلفها الآن .. لابد أنه دخل فى هدوء دون أن يقول شيئًا . ربما سيلف ذراعيه حولها ليفزعها .

استدارت له .

لكن الغرفة كانت خالية تمامًا .. برغم هذا ظل الانعكاس الغريب والشعور بمن يقف خلفها .

هزت كتفها وضحكت لنفسها فى المرآة . لكنها كضحكة فشلت .. بدا أن الزجاج المتسخ شوه الضحكة حتى لم يعد الوجه فى المرآة وجهها .

لابد أن نقل المتاع بين بيتين أرهقها فعلاً .

لكنها سرت جدًا عندما دخل زوجها الغرفة . فكرت أن تخبره ثم قررت ألا تقلقه على أعصابها .

فى اليوم التالى خرج لها من الحمام مندفعًا والدم ينزف من خده إثر جرح حدث له أثناء الحلاقة . وسألها :

ــ « هل هذه فكرتك عن المزاح ؟.. »

قالها بطريقته الصبيانية التى تحبها ، وأردف :

ــ « تتسللين خلفى لترسمى لى وجهًا مضحكًا فى المرآة ؟.. أنظرى كيف جرحت نفسى !.. »

جلست فى الفراش ..

ــ « لكن يا عزيزى أنا لم أمزح معك .. أنا لم أغادر الفراش منذ صحوت أنت .. »

هز رأسه وتلاشت تقطيبته للحظة ، معبرًا عن الحيرة وقال :

ــ « أوه .. أرى ذلك .. »

ألقت بالأغطية وجلست على حافة الفراش ونظرت له بجدية :

ــ « ماذا هنالك ؟.. »

ــ « لا شىء . فقط خطر لى أننى رأيتك أو رأيت شخصًا ما ينظر فوق كتفى .. لابد أنها تلك الأضواء اللعينة .. يجب أن أحضر مصابيح جديدة اليوم .. »

ومسح خده بمنشفة وابتعد . فشهقت بعمق وقالت :

ــ « شعرت بذات الشىء أمس .. .. »

ــ « أنت ؟.. »

ــ « ربما كانت الأضواء كما قلت أنت .. »



– « نعم . نعم .. لابد أنها هى .. سوف أحضر مصابيح .. »

– « هذا أفضل .. ولا تنس أن الشلة قادمة يوم السبت للتبريك لنا .. »

كان السبت بعيدًا جدًا . وكان فى ذهن كل منهما من الأحداث ما يجعله مشغولاً أكثر مما يعترف .

فى اليوم التالى عندما ذهب للعمل خرجت هى إلى الحديقة . كان المكان فى حالة من الفوضى والأعشاب فى كل مكان وأوراق الخريف تتراقص حول البيت القديم . فجأة شعرت بالوحدة . ليست الوحدة فقط نتيجة كونها على بعد نصف ميل من أقرب جار .. الشعور بأنها دخيلة هنا . دخيلة على الماضى . الهواء البارد والأشجار الميتة والسماء المكفهرة .. كلها ملك البيت .. هى القادمة من الخارج ..

لأنها كانت شابة . ولأنها كانت حية ..

شعرت بهذا كله لكنها لم تتوقف لتفكر فيه . إن الاعتراف بما تشعر به هو الاعتراف بالخوف . الخوف من الوحدة .. لا .. ما هو أسوأ .. الخوف من ألا تكون وحيدة ..

هنا انغلق الباب الخلفى .

بالتأكيد هى رياح الخريف . برغم أن الباب لم يحدث صوتًا .. فقط انغلق لكنها الريح بلا شك . لا أحد فى البيت ليغلق الباب .

بحثت فى جيب ثوب البنت عن المفتاح ثم تذكرت أنها تركته على حوض المطبخ . على كل حال هى لم تنو الدخول بعد ..

أرادت أن تتفحص الفناء وترى ما كانت عليه الحديقة ، حيث تنوى أن تينع حديقة أخرى فى الربيع : عليها مئات الأشياء تفعلها هناك .

لما انغلق الباب خطر لها أن شيئًا يحاول إبقاءها بالخارج .. يحاول إبقاءها خارج بيتها الخاص .. يجب أن تعود .

بالفعل المقبض لا يدور .. إنها محبوسة فى الخارج فعلاً .. لقد خسرت أول دورة .. لكن النافذة ما زالت هناك .

كانت نافذة المطبخ فى ارتفاع العين وكانت مفتوحة .. يمكن أن ترفعها أكثر .

دفعت ..

لكن لم يحدث شىء .. لابد أن النافذة ملتصقة لكن كيف ؟.. لقد فتحتها قبل الخروج وكانت سهلة الفتح . كانت كل النوافذ بحال جيدة قبل هذا .

جربت ثانية فانفتحت النافذة ست بوصات ثم هوت فجأة كأنها نصل المقصلة .. أخرجت يدها فى الوقت المناسب . ومن جديد وضعت قوتها فى ذراعيها ورفعت النافذة .

لكن كانت هنـــاك حركة .. شىء يتحرك يطـــل مـــن النافذة ويجذبها لأسفل .. شىء يماثلها قوة ..

ثم أدركت من جديد أنها تحدق فى صورتها هى . نعم .. يجب أن يكون انعكاسها هى .. لا يوجد سبب كى تغمض عينيها وتبكى وهى تزحف داخل المطبخ .

لن تخبره .. فلم يحدث شىء .. لا شىء يدفعها للقلق .. لا شىء يدفعها لتقلقه .

لن يخبرها هـــو أيضًا ، إنه يوم الجمعة عصرًا عنـــدما أخذت السيارة وذهبت للمدينة استعدادًا للحفل ، ظل وحده فى البيت وراح يعد بعض الأشياء .

لهذا حمل حقائب الثياب للعلية كى يخزن ثياب الصيف . هكذا فتح خزانة وضع فيها الأشياء ، وبدأ يتفحص الجدران بالكشاف . لاحظ الباب والقفل .

كان الغبار والصدأ يحكيان قصتهما الخاصة : لم يأت أحد هنا منذ زمن سحيق . وتذكر ما قاله (هاكر) سمسار العقارات : .. « هذا المكان خال منذ أعوامٍ ويحتاج إلى إصلاح .. »

برغم هذا كان بوسعه أن يغتصب القفل بمبرد .

هبط فى الدرج ليحضر مبردًا وعاد . يبدو أن ساكن البيت القديم غادره على عجلة فالغبار فى كل مكان . يبدو أن أشياء كثيرة جرت هنا .

تحطم القفل فجذب الباب وفتحه ، وشم رطوبة مليئة بالفطريات ، فرفع المصباح وصوب الشعاع على الخزانة الضيقة الطويلة .

تواثبت الأضواء الفضية بالألوف فى وجهه وعينيه . وراحت نار ذهبية تحرق حدقتيه .. فرفع الكشاف وصب الضوء لأعلى .

بدأ يضبط رؤيته واستيعابه . وقف يحدق فى غرفة امتلأت بالمرايا .. تتدلى من حبال وتستند إلى الجدار فى صفوف .

كانت هناك مرآة طويلة مثبتة لباب .. ومرايا من كل شكل وصنف .. حتى أنه كانت هناك مرآة صيدلية منزوعة من موضعها . أما الأرضية فكانت مغطاة بالمرايا من كل الأحجام ..

مرايا للجيب ومرايا من حقائب نساء .. ومرايا من (تسريحة) امرأة ..

وكانت هناك مرايا تبدو كأنها منتزعة من جدران غرفة نوم ..

كان هناك ألف انعكاس لوجهه المذهول ...

فكر فى (هاكر) السمسار . لقد تفقد البيت فلاحظ أنه لا توجد صيدلية فى الحمام .. ثم لاحظ بشكل عابر أنه لا توجد أية مرآة فى البيت كله . بالطبع لا يوجد أثاث لكنك تتوقع أن تكون هناك مرآة منسية فى بيت قديم كهذا .

لا مرايا ؟.. لم ؟.. لماذا تم جمعها هنا جميعًا فى غرفة مغلقة بالقفل ؟

لكن زوجته سوف تحب بالتأكيد بعض هذه المرايا . خاصة تلك ذات الإطار الفضى .. سيكون عليه أن يخبرها .

دخل إلى الخزانة وهو يجر أكياس الثياب خلفه . لا يوجد هنا ما يصلح لتعليق الثياب . انحنى وجمع الأكياس معًا فى كومة بينما الضوء يتراقص ليرسل ألف شعاع على وجهه .

ثم تلاشت النار . لقد أظلمت السطوح الفضية فجأة .

لم يعد يرى سوى انعكاسه هو . انعكاسه مع شىء أكثر قتامة له مظهر الدخان .. شىء يمت لهذه الرطوبة العفنة . شىء خنَق الخزانةَ بوجوده .. كان وراءه .. لا .. بل خلفه .. إنه يكبر ..

يجعله يرتجف .. يجعله يلهث .. يجعله يهرع فارًا من الخزانة ويغلق الباب .. واسم هذا ال شىء هو ...

كلوستروفوبيا ..

رهاب الأماكن المغلقة ..

هذا هو .. الإنسان يصير عصبيًا عندما يتواجد فى مكان ضيق .. والإنسان يصير عصبيًا عندما ينظر لنفسه فى مرآة . بل خمسين مرآة ..

وقف يرتجف ولكى يشغل عقله عما رأى نصفه .. شعر بنصفه .. عرف نصفه .. فكر فى المرايا . النسوة ينظرن للمرايا طيلة الوقت والرجال لا ..

الرجال لا يحسون المرايا إلا بنصف وعى . لقد رأى ذات مرة صورته فى متجر به توزيع مرايا معقد يجعلك ترى وجهك وظهرك معًا ، وقد صدم لأن الصورة تختلف تمامًا عما يتخيل نفسه . لهذا يصفر الرجال ويغنون وهم يحلقون ذقونهم . حتى

لا يركزوا على الانعكاس أمامهم وإلا جنوا . ما كان اسم تلك الشخصية الإغريقية التى وقعت فى غرام صورتها المنعكسة فى الماء ؟.. نارسيسوس ..

النساء يقدرن على ذلك لأن النساء لا يرين أنفسهن كما هن فعلاً . يرين صورة مثالية .. رؤيا .. النساء فيهن لمسة جنون على كل حال ، ويجب أن يكن كذلك كى يتحملن رجالهن .

ربما كان الأفضل ألا يخبرها ب شىء ، حتى يراجع سمسار العقارات . هناك شىء خطأ وهو يريد أن يعرف كنهه .. لماذا خزن الملاك السابقون كل هذه المرايا ؟

عاد للردهة محاولاً ألا يفكر فى شىء .. محاولاً أن ينسى الرعب الذى شعر به .

الانعكاسات ..

مصاصو الدماء ليس لهم انعكاس فى المرايا .. قل لى الحقيقة يا هاكر... هل كان ملاك البيت السابقون مصاصى دماء ؟

فكرة سارة كانت .. فكرة حملها معه للطابق السفلى فى ضوء الشفق ، وانتظر بها الظلام وهو يصغى لارتطام الشيش وصرير

الأرضيات .. فى بيت الظلال حيث يزحف شىء ما .. يتسلل خلفك وأنت تنظر فى المرايا . .

انتظر عودتها من الخارج وأضاء كل المصابيح وفتح المذياع عن آخره .. وحمد الله أنه لا يوجد تلفزيون .. التلفزيون له شاشة والشاشة تعكس أشياء لا يجب أن تراها ..

لكن لم يحدث شىء باقى الليلة . وعندما عادت كان قد تحكم فى نفسه من جديد . أكلا وتبادلا الحديث .. لو كـــان الشىء يسمعهما فلن يخمن أنهما خائفان ..

استعدا للحفل ودعيا البعض هاتفيًّا ، هنا اقترح دعوة (هاكر) السمسار نفسه . دخلا الفراش وأطفئت الأنوار .. هذا يعنى أن كل المرايا صارت مظلمة وصار بوسعه النوم .

فى الصباح صارت الحلاقة صعبة .. ورأى زوجته فى المطبخ تضع المساحيق وهى تنظر عبر مرآة حقيبتها الصغيرة كى تتحاشى أى انعكاس زائد ..

لم يخبرها بشىء وهى كذلك لم تخبره ..

ذهب للعمل بينما أعدت هى خبزًا بالكافيار

كان البيت هادئًا عندما عاد من العمل ، وبشكل ما كان هذا أسوأ .. كأن الشىء ينتظر الليل ليتحرك . لهــذا لبست مبكرًا وهى تغنى طيلة الوقــت وتتحرك أمام المـــرآة (لأنك لا ترى بوضح لو تحركت كثيرًا) ولهذا مزج هو الشراب وشرب كئوسًا عديدة مع زوجته (لأنك لا ترى بوضوح لو سكرت) .

ثم جاء الضيوف ..

آل تيتر يشكوان مــن الطريق الطويل المتعرج عبر الجبال . آل فايان يتعجبون مــن السقف العالى وألواح الجدران العتيقة .. آل إيرز يسعلون ويضحكون . وعندما جاء السمسار كان المذياع يلقى منافسة رهيبة من الأصوات العالية .

كانت هناك أشياء أخرى .. أشياء صغيرة ..

لقد جلب آل تالمادج معهم أزهارًا وقد ذهبت للمطبخ لتضعها فى مزهرية من الزجاج . وقفت تملأ المزهرية من الصنبور فرأت الزجاج يدكن وبدأ انعكاس يظهر على وجوه الزجاج . استدارت بسرعة فوجدت أنهـــا وحدها .. وحدهـــا لكن عندها مليون عين فى يدها .

أسقطت المزهرية فهرع الجميع للمطبخ . لابد أن زوجها لامها على خرقها ، لكنه كان يعرف .. لابد أنه كان يعرف .. لأنه عندما اقترح أحدهم جولة فى المنزل ، رفض الفكرة .

قال لهم :

ــ « لم نرتب الطابق العلوى بعد .. إنه فوضى شاملة .. »

سألته مسز تيترز وهى تدخل المطبخ مع زوجها :

ــ « من المقيم فوق ؟.. لقد سمعنا ارتطامًا مروعًا .. »

قال المضيف :

ــ « لابد أن شيئًا سقط ... .. »

لكنه لم ينظر لزوجته وهو يتكلم ، ولم تنظر له .

راحت تملأ الكئوس بسرعة ، وتقدمها ثم تملؤها ثانية .. الشراب يجعل الناس يتكلمون ، والكلام يخفى أية أصوات أخرى .

نجحت الاستراتيجية .. وبدأ الضيوف يتجهون فى أزواج إلى غرفة المعيشة ، وتعالى صوت الضحك وتلاشت أصوات الليل .

كانا يتحركان ببطء وحذر كأن جسديهما من زجاج . زجاج مليء بالخمر لكنهما لا يسكران أبدًا .

لم يكن ضيوفهما زجاجًا .. كانوا لا يخشون شيئًا . كانوا يخرجون ويدخلون ، وسرعان ما جرب مستر فايان ومسز تالمادج جولة فى الطابق العلوى للبيت . لم يلحظ أحد ذهابهما إلا عندما نزلت مسز تالمادج مذعورة .. وانطلقت تجرى لتحبس نفسها فى الحمام .

تبعتها المضيفة ودقت على باب الحمام حتى فتحت لها المرأة .. دخلـت طالبة فهم ما يحـدث لكن مسز تالمـادج كانت تبكى بلا توقف ولفت يديها حولها وقالت :

ــ « هذه كانت خدعة قذرة .. !.. أن يصعد ويتجسس علينا .. يا له مـن قملة !.. كأنه لم يكن يغـازل زوجـة (هاكر) هو نفسه ... لكن من أين جاء باللحية ؟.. لقد أثارت هلعى !.. »

سألتها وهى تعرف الإجابة وتخشى الكلمات التالية :

ــ « عم تتكلمين ؟.. »

ــ « كنا نقـف أمام مرآة عنـدما شعرت بتغيـر فى الضوء فنظرت خلفى .. رأيت شخصًا ما هو زوجى بالتأكيد .. لكنه كان يضع لحية مستعارة وكان ينظر لنا .. »

وراحت ترتجف بقوة فلم تلحظ الرجفات التى تمشت فى جسد مضيفتها .

ــ « انتظرى حتى نعود للبيت .. إنه غيور مجنون وبرغم هذا افزعنى حتى الموت .. »

حاولت أن تهدئ مسز تالمادج .. حاولت أن تخفف من ذعر مسز تالمـادج .. حاولت أن تسترضى مسز تالمادج .. لكن لا يوجد ما يهدئها أو يخفف ذعرها أو يسترضيها هى ..

عادت المرأتان للقاعة متظاهرتين بالهدوء .. هنا سمعتا مستر تالمادج يصيح فى غضب :

ــ « هكذا كنت أقف فى الحمام ، عندما جاءت هذه الساحرة العجوز من خلفى لترسم وجوهًا مخيفة .. ماذا يدور هنا ؟.. أى بيت هذا ؟.. »

ضحك الجميع ما عدا المضيف والمضيفة .. لقد وقفا هناك عاجزين عن الكلام أو تبادل النظرات .. الزجاج هش موشك على التحطم .

قالت زوجة (هاكر) :

ــ « لا أصدق هذا .. سوف أصعد بنفسى وأرى ما هنالك .. »

كانت قد شربت أكثر من الآخرين .

وقبل أن يمنعها المضيف كانت قد مرت جواره .

قال تالمادج :

ـ « مقالب الهالوين .. رأيتها بوضوح كأننا فى النهار .. ماذا تعد لنا هنا ؟.. »

راح يقول كلامًا مختلطًا كى يوقف الثرثرة الحمقاء . دنت منه لتسمع .. لتصدق .. لتنسى جوين هاكر فى الطابق العلوى تحدق فى مرآة .

من جديد دوى الصراخ . ليس بكاء بل هو صراخ . وثب عبر الدرجات وخلفه مستر هاكر البدين .. هناك صوت أقدام على الدرج وتنفس ثقيل وصراخ امرأة تواجه رعبًا لا تتصوره .

ركضت جوين هاكر وترنحت ثم سقطت بين ذراعى زوجها . كان الضوء يتألق من الحمام ويسقط على مرآة . سقط على وجهها الخالى من أى تعبير .

تزاحموا حولها إذ حملوها لغرفة النوم وأرقدوها . كانت فاقدة رشدها ، وقال أحدهم شيئًا عن طبيب فقال آخر إنه لا داعى للقلق . سوف تتحسن حالاً .

للمرة الأولى بـدا أن الجميع فطنـوا للبيت العتيق والظلام وطريقة ارتطام مصاريع النوافذ .

وفجأة صار كل واحـدًا متشوقًا للرحيـل . وأفاقوا من تأثير الخمر .

كان هاكر يمسك بيد زوجته ، ويحاول أن يرغمها على شرب بعض الماء .. يراقبها وهى تعود من عالم الفراغ .

بينما وقف المضيف والمضيفة يودعـان الضيوف ، ويتلقيان عبارات الاعتذار المهذبة . وعبارة (كان وقتًا ممتعاً يا عزيزتى) المعتادة .

هكذا ابتلع الظلام الضيوف ، وعاد الزوجان لغرفة النوم حيث كان هاكر وزوجته . إنهم ينتظرون .. ولم يطل انتظارهم .

جلست مسز هاكر وراحت تتكلم .. تحكى لزوجها ثم لهما :

ـ « رأيتها .. لا تقل إننى مجنونة .. رأيتها ! تقف على أطراف أصابعها خلفى . تنظر فى المرآة بنفس الشريط الأزرق فى شعرها .. الذى كانت تلبسه عندما .... »

قال زوجها :

ـ « أرجوك يا عزيزتى .. »



ـ « بل رأيتها .. مارى لو !.. كانت تنظر لى بوجه شرس فى المرآة .. وهى ميتة . تعرف أنهـا ميتة . لقد اختفت منذ 3 أعوام ولم يجدوا جثتها .. »

ارتجف ذقنا مستر هاكر وقال :

ـ « مارى لو دمبستر .. »

ـ « كانت تلعب هنـا .. وويلما دمبستر طلبت منهـا أن تظل بعيدة ، وكانت تعرف سر هذا البيت ، ولكن مارى أصرت .. رباه .. وجهها !.. »

ربت هاكر على كتفها وبدا أنه بحاجة لمن يربت على كتفه هو الآخر . وقف هناك ينتظر الباقى .

قالت مس هاكر :

ـ « احك لهم .. »

ـ « ليكن .. لكن على أن آخذك للبيت .. »

ـ « سأنتظر حتى تحكى .. الآن .. »

جلس هاكر واستندت زوجته على كتفه . كان ينتظر لحظة ما وقد جاءت .

ـ « لا أعرف كيف أشرح .. غالبًا هى غلطتى لكن لم أكن أعرف .. لا أحد يصدق هـذا الهراء عن البيوت المسكونة . كل ما يفعله هـو أنه يهبط بأسـعار البيوت .. لذا لم أتكلم فهل تلومونني ؟.. »

همست مسز هاكر :

ـ « رأيت وجهها !.. »

ـ « أعرف .. كان على أن أخبركما بصدد البيت .. لماذا ظل 20 عامًا بلا إيجار ؟.. .. »

عرف المضيفان الحقيقة .. امتلئا بها ككئوس الزجاج . كان هذا هو بيت بيلمان . البيت الذى بناه جوب بيلمان لعروسه فى الستينيات(*) ، وحيث ولدت الزوجة ابنتهـا لورا وماتت . كبرت الطفلة وصارت هى زهرة الإقليم النضرة .. يقول البعض إنها كانت زهرة الولاية لكن الرجال كانوا يبالغون فى تلك الأيام .

كان هناك الكثير من الرجال يدخلون البيت بأحذيتهم اللامعة ، يتكلفـون الابتسـام مع (جـوب) العجـوز ويقطبون فى وجه الخدم ، وينظرون فى وله إلى لورا .

(*) غالبًا الكلام يدور عن القرن التاسع عشر ، وهذا ما ستكتشفه من الجزء التالى .

كانت لورا تتعامل باعتبار هذا حقها وكانت ترى أنها أصغر بكثير من أن تتزوج . لن تتزوج ما دام أبوها حيًا .

الأمور أفضل هكذا .. رقصات فى ضـوء القمر .. حفلات .. أزهار .. حلوى .. هدايا .. حفلات راقصة .. معجبون .. ركوب دراجة .. عزف ماندولين .

ثم يأتى اليوم .. جوب العجوز ميت فى فراشه بالطابق العلوى . الطبيب جاء ومعه القس ثم المحامى بسعاله الجاف وكلامه عن الإرث والدخل السنوى .

الآن صارت وحيدة . هى والخدم والمرايا . لورا والمرايا . مرايا فى الصباح وتأمل صورتها لتبدأ اليوم . مرايا فى الليل قبل أنْ تصل العربة ، لتدخل حفلاً آخر شاعرة بالنصر أمام عيون المنبهرين والمعجبين . مرايا فى الفجر تصغى لانتصارات الليل .

« يا مرآتى .. يا مرآتى على الجدار ؟.. من هى جميلة الجميلات ؟.. »

قالت لها المرايا الحقيقة . المرايا لا تكذب . المرايا لا تخدش ولا تطلب شيئًا لقاء اعترافها بجمالك .

مرت الأعوام لكن المرايا لم تشخ ولم تتغير . ولم تشخ لورا . صار طلاب يدها أقل ، وطرأ عليهم تغير معين .. لقد شاخوا . لكن كيف بينما لورا ما زالت صغيرة ؟

قضت لورا وقتًا أطول فأطول مع المرايا . كانت تضع المساحيق وتفتش عن التجاعيد وتعقص شعرها . تبتسم .. ترمش بأهدابها .. تقطب ..

وعندما جاء طالبو ودها أرسلت الخدم يبلغونهم إنها ليست فى البيت . بدا لها من السخف أن تترك المرايا . كان الخدم يأتون ويذهبون ومات بعضهم لكن هناك الجديد منهم دومًا . كانت التسعينات مرحة .. كانت تضحك وتهتز فى فراشها تتقاسم أسرارها مع الزجاج .

مرت الأعوام لكنها كانت تضحك . كانت تقهقه كلما كلمها الخدم . وكانت تحمل الطعام على صينية لغرفتها لأنها كانت تشعر شيئًا غريبًا فى الخدم .

كانوا يحسبونها تشيخ لكن هذا لم يحدث .. المرايا لا تكذب . كانت تضع أسنانها الصناعية واللجمة لتسعدهم لكنها لم تكن بحاجة لهذه الأشياء . كانت المرايا تكلمها الآن ..

كانت تجلس أمام المرايا صامتة تهز رأسها وتتأرجح بين المساحيق والعطور .

تصغى للمرايا تخبرها كمْ هى جميلة ، وكم هى موفقة لأنها لم تبعثر جمالها على العالم . لن تفارق هذا المكان أبدًا .. هى والمرايا سوف يبقون معًا للأبد .

جاء اليوم الذى حاولوا فيه أخذها .. وضعوا أيديهم عليها . هى لورا بيلمان .. أجمل امرأة فى العالم . هل من الغريب أنها قاتلت وصرخت وخمشت ؟.. طار أحد الخدم ليهشم رأسه على الزجاج الجميل ومات . دمه القذر قد لوث انعكاسها المكتمل .

كان خطأ غبيًا ولم يكن ذنبها . وقد أخبر د . تيرنر الضابط بهذا عندما جاء . لم يكن على لورا أن تقابله أو تترك البيت . لكنهم كانوا يغلقون باب حجرتها ويأخذون المرايا كلها .

أحذوا كل المرايا !

صارت امرأة وحيدة عجوزًا بلا انعكاس .. أخذوا المرايا فصارت عجوزًا .. قبيحة ... مذعورة ..

ليلتها بكت .. وراحت تتعثر كالعمياء فى رحلة دامعة وسط الهباء .

عرفت أنها مسنة ولا شىء ينقذها . عرفت هذا عندما ألصقت جبهتها المتغضنة بالنافذة ذات الزجاج البارد . جاء الضوء من خلفها فرأت انعكاسها فى النافذة .

النافذة .. إنها مرآة .. نظرت لها طويلاً فى حب .. نظرت للوجه الذى سال الدمع عليه ، الملطخ بالأصباغ .. وجه عجوز مهدمة . وجه جثة تأهبت للدفن .

دار كل شىء من حولها . هذا بيتها وهى تعرف كل بوصة منه منذ مولدها . البيت جزء منها . هذه غرفتها .. تحتاج إلى مرآة ترى فيها وجهها الجميل ، لكنها لن تُمنح مرايا ثانية .

بدأ الأنعكاس يتغير فصارت ترى من جديد لورا بيلمان أجمل الجميلات . انتصبت وتراجعت للخلف وراحت ترقص . رقصت أمام زجاج النافذة فاندفعت لتخترقه ، حتى أن قطع زجاج مهشمة كالموسى مزقت حلقها .

هكذا ماتت .. وهكذا وجدوها ..

جاء الطبيب وعمل الخدم ما يجب عمله .

بيع البيت ثم بيع ثانية . فى النهاية امتلكته وكالة تأجير ، وجاء سكان لكنهم لم يبقوا طويلاً . كانت عندهم مشاكل مع المرايا .

مات رجل بنوبة قلبية كما قالوا بينما هو يصلح من ربطة عنقه ذات ليلة . من الغريب أنه كان يقول للناس فى البلدة إن هناك أشياء غريبة .

هناك مدرس استأجر المنزل فى العشرينات ومات فى ظروف لم يستطع د . تيرنر فهمها . ذهب للوكالة العقارية وتوسل لهم أن يمنعوا استئجار البيت ، لكن هذا لم يكن له داع لأن سمعة البيت صارت معروفة .

أما عن اختفاء مارى لو دمسبستر هنا فأمر لا يعرفه أحد . شوهدت الفتاة منذ عام فى الطريق الموصل للبيت وبرغم أن البحث عنها لم يفض ل شىء ، فقد ساد الكلام .

أخيرًا جاء هو وهى للحياة هنا .. وهذه هى القصة .. كل القصة .

لف مستر هاكر ذراعه حول جوين وساعدها على النهوض . كان يشعر بالخجل والعار .. كان مقدرًا للأمر ولم تلتق عيناه بمضيفيه .

قال المضيف :

ــ « سوف نرحل .. الآن .. بإنذار أو لا إنذار .. »

ــ « يمكن ترتيب هذا .. لكن لن أجد مكانًا الليلة ، وغدًا هو الأحد .... »

قالت هى :

ــ « سوف نحزم حقائبنا ونرحل غدًا .. ربما لفندق .. المهم أننا راحلون .. »

قال هاكر :

ــ « سوف أطلبكما غدًا .. أعرف أن كل شىء سيكون على ما يرام، ما دمتما قضيتما أسبوعًا هنا .. »

وصمت .. لم يعد هناك ما يقال وسرعان ما كان يرحل مع زوجته . هكذا لم يبق سواهما هما الاثنان ..

هم الثلاثة فى الواقع ..

كانا أكثر تعبًا من أن يباليا .. لقد تعاون الشرب المفرط والتوتر الزائد ليجعلا النتيجة حتمية .

لم يقولا شيئًا فلم يكن هناك ما يقال .. لم يسمعا شيئًا لأن البيت ظل هادئًا .

دخلت غرفتها ونزعت ثيابها .. أما هو فمشى فى البيت . اتجه للمطبخ وفتح درجًا جوار الحوض وأخذ مطرقة هشم بها مرآة المطبخ .

تنكل تنكل .. ثم صوت تهشم ..

كان هذا صوت المرآة فى الصالة . ثم صعد للطابق العلوى حيث الحمام .. وتساقط الزجاج المهشم فى درج الأدوية .

عاد لغرفة النوم وطوح المطرقة ليحطم المرآة البيضوية لصندوق التجميل .

لم يجرح .. لم يتوتر .. لم يتغير مزاجه .. لقد ولت المرايا .. كلها رحلت ..

تبادلا النظر للحظات .. ثم أطفأ الأنوار ووثب على الفراش جوارها وغرقا فى النوم . .

ومرت الليلة .

فى ضوء النهار بدت الأمور سخيفة . برغم هــذا أخرجا الحقيبة ، وإذ أنهت إعداد الإفطـــار كان قــد وضع ثيابه على الفراش . وبعــد الإفطار نهضــت هى وأخذت ثيابها من الأدراج

والمشاجب . سوف يذهب للعلية ليجلب حقيبة الثياب ، وسوف يتصلان بعمال النقل بمجرد أن يعرفا إلى أين هما ذاهبان .

صار البيت هادئًا . لو كان البيت يدرك خططهما فهو لا يتصرف على هذا الأساس .

النهار كان كئيبًا وقد أبقيا الأضواء مطفأة بلا كلام . كان بوسعه أن يهشم زجاج النوافذ لكنه كان عملاً سخيفًا .. هما راحلان عما قريب .

سمعا الضوضاء .. صوت شىء يسيل .. صوت خرير .. إنه آت من تحت أقدامهما .. هكذا شهقت هى ..

قال :

ـ « ماسورة الماء فى القبو .. .. »

وابتسم وأمسك بكتفيها .

قالت وهى تتجه للدرج :

ـ « من الأفضل إلقاء نظرة .. »

ـ « ولماذا أنت ؟.. سأفعل ذلك .. »

لكنها هزت رأسها .. كانت تكفر عن خطيئة الشهقة التى أطلقتها . يجب أن تريه أنها ليست خائفة . يجب أن ترى زوجها وترى الشىء كذلك ..

قال لها :

– « انتظرى .. سأحضر مفتاح المواسير .. إنه فى حقيبة السيارة .. »

وهرع للباب الخلفى فوقفت حيث هى ، ثم اتجهت لدرج القبو . كان صوت الماء أعلى ويبدو أنه يغرق البدروم . كان صوته غريبًا كأنه يضحك .

كان بوسعه أن يسمعه حتى وهو فى الخارج يفتح حقيبة السيارة . كل هذه البيوت القديمة فيها خطأ ما .. لابد أن يعرف هذا ....

وجد الرافعة .. عاد للباب مصغيًا للماء ولصراخ زوجته .

كانت تصرخ !.. تصرخ فى البدروم .. تصرخ فى الظلام .

جرى حاملاً المفتاح الثقيل ، وهبط فى الدرج إلى الظلام .. كانت الصرخات تمزق الصمت . لقد أمسك بها الشىء .. كانت

تقاوم بعنف لكنه كان قويًا جدًا ، وفى ضوء الكشاف المنعكس على الماء رأى وجهها والوجوه الأخرى التى تحيط بها .

رفع المفتاح وهـوى به .. ضرب .. ضرب .. حتى مات الصراخ .

هنا وقف ينظر لها .. لقد زالت الظلمة وتلاشت فى انعكاس الماء . كانت هناك .. وكانت صامتة . صامتة وستظل كذلك للأبد . فقط كان الماء يزداد احمرارًا حيث سقط رأسها . وكان طرف المفتاح أحمر كذلك .

للحظات راح يحكى لها عما حدث ، ثم أدرك أنها رحلت ..

لم يبق سوى اثنين .. هو .. والشىء ..

وهو يصعد فى الدرج . يحمل المفتاح الدامى .. سوف يطلب الشرطة ويشرح .

جلس جوار الهاتف وراح يفكر فيما سيقوله لهم . لن يكون سهلاً . تلك المرأة المجنونة التى حدقت فى المرايا حتى لم يعد فى جسدها من الحياة قدر ما فى المرايا من حياة . عندما انتحرت ظلت حية فى المرايا وكل شىء عاكس . قتلت آخرين أو

سببت موتهم وبشكل ما التحمت حياتهم بحياتها ، بحث صار الشىء يزداد قوة . أيتها المرأة . اسمك هو الغرور مجسدًا !

لهذا يا سادة قتلت زوجتى .. تفسير جميل لكنه لا يصمد لشىء ..

الماء !.. الماء فى البدروم هو السبب .. لقد عكس صورًا ..

نظر لزجاج النافذة أمامه .. يعكس ؟؟؟؟

رأى الرجل الملتحى والعينين المتلصصتين للطفلة الصغيرة . تقطيبة المرأة العجوز . لم يكونوا هنا خلفه بل هم أحياء داخل المرآة .. نهض وأمسك بالمفتاح ..

سوف يقاتله على كل حال . طوح بالمفتاح . هنا رأى وجهها يظهر بين باقى الوجوه . يثب نحوه وهناك تجاويف دامية فى موضع العينين .. تراجع للخلف ...

سمع صوت زجاج النافذة من خلفه فتذكر بشكل مبهم كيف ماتت العجوز .. نفس الطريقة التى سيموت بها الآن .. يسقط عبر النافذة فيقطع حلقه . .

يتدلى عنقه خارج الزجاج المهشم وينزف ..

لقد رحل .. جسده يتدلى لكنه هو نفسه قد رحل ..

ظهر شىء من الظل الآن . كان له وجه امرأة عجوز وله وجه طفل وله وجه ملتح ووجهه هو ووجهها ..

بدأ ينهض ثم يجلس ..

فى النهاية وحيدًا فى البيت الخالى ، جلس ينتظر .. لا يوجد ما يمكن عمله سوى انتظار القادم الجديد . فى نفس الوقت يمكنه أن يتأمل صورته بإعجاب فى ذلك الانعكاس الأحمر الذى يتسع على الأرض . .

روبرت بلوخ

تمت بحمد الله

روايات عالمية للجيب

■ صدر من هذه السلسلة ■

1 ـ فلاش جوردن .
2 ـ كنوز الملك سليمان .
3 ـ دكتور نو .
4 ـ حرب النجوم .
5 ـ الفك المفترس .
6 ـ فوق مستوى الشبهات .
7 ـ رحلة إلى مركز الأرض .
8 ـ الغيبوبة .
9 ـ الشيطانة .
10 ـ لقاءات من النوع الثالث .
11 ـ وجاء العنكبوت .
12 ـ قبضة الشيطان الذهبية .
13 ـ نداء الأعماق .
14 ـ القتل دون مقدم أتعاب .
15 ـ سلالة أندروميدا .
16 ـ الغرفة الحمراء .
17 ـ وادى العناكب .
18 ـ صورة دوريان جراى .
19 ـ العالم المفقود .
20 ـ صانع الأمطار .
21 ـ ألف ليلة وليلة الجديدة .
22 ـ سباق الموت .
23 ـ كونغو ..!
24 ـ كلب آل باسكرفيل .
25 ـ مدينة مثل أليس .
26 ـ الحزّاز .
27 ـ مطار (77) .
28 ـ النطاق المسموم .
29 ـ الجزيرة .
30 ـ لا تنظرى الآن .
31 ـ جزيرة الدكتور مورو .
32 ـ عرين الدودة البيضاء .
33 ـ رحيق الملكات .
34 ـ وصية الثلاثين ألف دولار .
35 ـ العميل .
36 ـ ما وراء العالم .
37 ـ خلف جدار النوم .
38 ـ الغريم الخفى .
39 ـ قضية الذئب .
40 ـ الرجل الذى كان الخميس .
41 ـ الجزيرة الغامضة .
42 ـ 451 فهرنهيت .
43 ـ دورة المذعوب .
44 ـ حكايات أوسكار وايلد .
45 ـ قلب الليل .
46 ـ كتب الدم .
47 ـ أوديسا الفضاء .
48 ـ دكتور جيكل ومستر هايد .
49 ـ حكايات مارك توين .
50 ـ 1984 جـ 1 .
51 ـ 1984 جـ 2 .
52 ـ موبى ديك .
53 ـ غريب فى أرض غريبة جـ1 .
54 ـ غريب فى أرض غريبة جـ2 .
55 ـ حكايات أندرسن .
56 ـ الستار .
57 ـ قصص من أزيموف .
58 ـ شرطى المكتبة .
59 ـ أسطورة سليبى هولو .
60 ـ كارميلا .
61 ـ محامى الشوارع .
62 ـ قاعة المرايا .
63 ـ جوهرة النجوم السبعة .
64 ـ مغامرات آرسين لوبين .
65 ـ أليس فى بلاد العجائب .
66 ـ قلعة الأسرار .
67 ـ عبودية الإنسان .
68 ـ نداء كثولو .
69 ـ لورد جيم .
70 ـ [illegible]
71 ـ الرجل الذى يجمع كتب (...

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

71



الرجل الذى يجمع كتب (بو)

هذه مجموعة من القصص القصيرة لروبرت بلوخ كاتب الرعب الأمريكى الشهير .. تلميذ لافكرافت وصاحب رواية (سايكو) التى صارت من علامات سينما الرعب البارزة ، كما أنه أكثر المؤلفين الذين عملوا مع ألفريد هتشكوك مخرج الرعب الأشهر .

سوف تقضى ساعات ممتعة مع عوالم بلوخ وسفاحيه وشخصياته المخبولة .

العدد القادم

قطار الجحيم

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم



